مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

- **الصراع بين الأخلاق والدين**
  د.عبد العزيز القناعي
- **حصانة المقدس جـ 2**
  عباس عبود
- **هدم أسطورة دين العفة جـ 7: محمد - 2**
  Moussa Eightyzz

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيَّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

العدد السابع والستون من مجلة الملحدين العرب - يونيو / حزيران لسنة 2018.

كلمة تحرير المجلة

«العوام هم قوّة المستبد وقُوتُه، بهم عليهم يصول ويطول، يأسرهم فيتهلّلون لشوكته، ويغصب أموالهم فيحمدونه على إبقائه حياتهم، ويُغري بعضهم على بعضٍ فيفتخرون بسياسته، وإذا أسرف في أموالهم يقولون كريمًا، وإذا قتل منهم ولم يُمثِّل يعتبروه رحيمًا» - عبد الرحمن الكواكبي من كتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد».

فالعوام على مر التاريخ هم المادة الخام لسيطرة الحاكم، يتحكّم بهم ويُسلطهم على بعضهم البعض، ينشر بينهم ما يريده من أفكارٍ ويحجب عنهم ما يريد.

يُسلّط عليهم رجال الدين تارةً لتخويفهم من عصيانه ولإضافة طابع التقديس على شخصه أو يُسلِّط عليهم إرهابه العسكري تارةً أخرى! ويُسلِّط إعلامه والبروباغاندا الممولة لغسل أدمغتهم وتسطيحها، بالإضافة إلى التجهيل المستمر والتعليم الرديء وسحق كرامتهم في كل فرصةٍ تسنح له بذلك.

ولكن مع تطوّر الزمن وتطوّر الوعي تغيّرت شيئًا فشيئًا أفكار الشعوب، وانتشرت مع عصر الأنوار أفكارٌ جديدةٌ تُنظم أساليب الحكم ومن أهمها مبدأ فصل السُلطات الذي تكلم عنه المفكر السياسي الفرنسي مونتسكيو في كتابه «روح القانون»، والذي يُقسِّم السُلطات الحاكمة لثلاثة أقسام: السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسُلطة القضائية، ورغم أن هذا المبدأ كان موجودًا بصورةٍ مبدئيةٍ في الجمهورية الرومانية القديمة، إلا أنه وبعد عصر الأنوار والثورة الفرنسية انتشر في أغلب دول العالم واستمر إلى يومنا الحالي.

أهم ما فيه أن هذه السُلطات تمارس بالإضافة إلى مهماتها الدستورية مهماتٍ إضافيةً رقابيةً على بعضها، فيؤدي هذا إلى القضاء على الفساد قدر المستطاع والحفاظ على الشفافية مع الشعوب.

ومع تطور وعي الشعوب بحقوقها أصبح من الصعب استغلالها كما في السابق، رغم أنه مازال موجودًا بأشكالٍ مختلفةٍ ولكن كلما تسلح الشعب بالثقافة وسعة الأفق لن يكون من السهل استغلاله أو تسييره. أما بلادنا فهي ما زالت ترزح تحت استبداد السُلطة واستغلال العوام وتحريكهم كالقطيع في أي اتجاهٍ يريده الحاكم.

لدينا مشكلةٌ حقيقيةٌ في الحريات بتنوّعها سواءً أكانت الحريات السياسية أو الفكرية أو الدينية أو التعبيرية، بسبب القمع من الدولة ومن المجتمع ومن العوام أنفسهم ضد كل من يخرد خارج السرب، فيتم تسخيف القضايا الهامة واختزالها في صورٍ مبتذلةٍ حتى تمرّ دون عقابٍ أو اعتقال، فيلجأ بعض من يريدون الظهور كمناضلين إلى التصدر بالقضايا التافهة والتطبيل للحاكم في نفس الوقت! وهذا ينطبق على كافة أطياف المجتمع سواءً كانوا سياسيين أو تنويريين أو إصلاحيين، غرِّدوا كما شئتم ولكن حذاري من الاقتراب من الإصلاحات الحقيقية السياسية أو الدستورية أو النظام الحاكم.

لايوجد نظام فصلٍ للسلطات في بلادنا ولايوجد نظام رقابةٍ من السلطات على بعضها أومحاسبةٌ لبعضها البعض أومحاكم دستورية مستقلة، وحتى إن وُجدت فهي شكليةٌ لا تربط ولا تحل! لايوجد من يحاسب الحاكم إذا استبد، ولايوجد من يحاسب المسؤول إذا أفسد، ولا المقصر على تقصيره.

لأن شعوبنا رضخت لقرونٍ طويلةٍ تحت الظلم والاستبداد وتحولت لكتلٍ من العوام المغيبين الذين يطبّلون للحاكم على الحق والباطل! لذلك لا حل لنا للخروج من هذه الدوامات إلا تطوير وتغيير الوعي وخلق مجتمعٍ مواطنيه واعين متعلمين فعّالين يُحدِثون التغيير الحقيقي ويأخذون بلادنا نحو التقدم والازدهار، فالعوام هم أيضًا قوّةٌ إذا اتحدوا وتثقفوا يستطيعون أن يُسقطوا حكامًا وأن يرفعوا حكامًا، وأن يغيّروا القوانين ويُنشؤوا العدالة الاجتماعية، وأن ينظمّوا أنفسهم ويبنوا مجتمعاتهم، وأن يكونوا دومًا قوةً تُحاسب الحاكم وتخيفه، وفي النهاية الحاكم المتصالح مع شعبه لن يحتاج لحمايةٍ منهم، بل سيضع يده في أيديهم ويترقى بهم ويترقون به إلى أعلى المستويات.

دمتم عقلاء متنورين...

Gaia Athiest

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير
Gaia Athiest

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver
الغراب الحكيم
Alia'a Damascéne
غيث جابري
Ali Alnajafi
أسامة البني (الوراق)
Abdu Alsafrani
Raghed Rustom
Johnny Adams
ليث رواندي
Yonan Martotte
إيهاب فؤاد

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

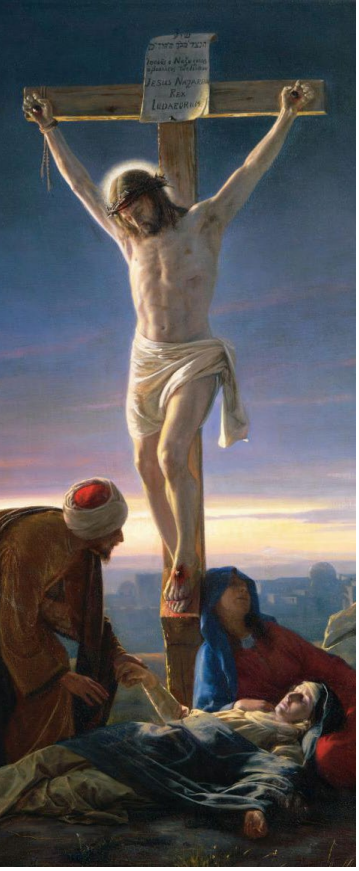

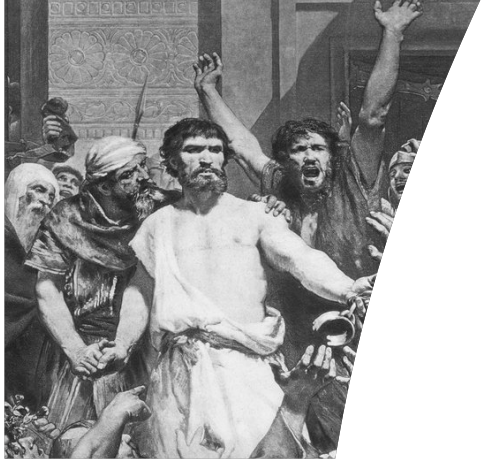

الفهرس

كلمة تحرير المجلة 2

الفهرس 3

الصراع بين الأخلاق والدين 4

د. عبد العزيز القناعي

هدم أسطورة دين العفة جـ 7: محمد - 2 8

Moussa Eightyzz

حصانة المقدس جـ 2 (دين مقدس) 31

عباس عبود

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة! 56

سيرة محمد بن آمنة 67

ترجمة عن منشورات شارلي إيبدو

كاريكاتور 75

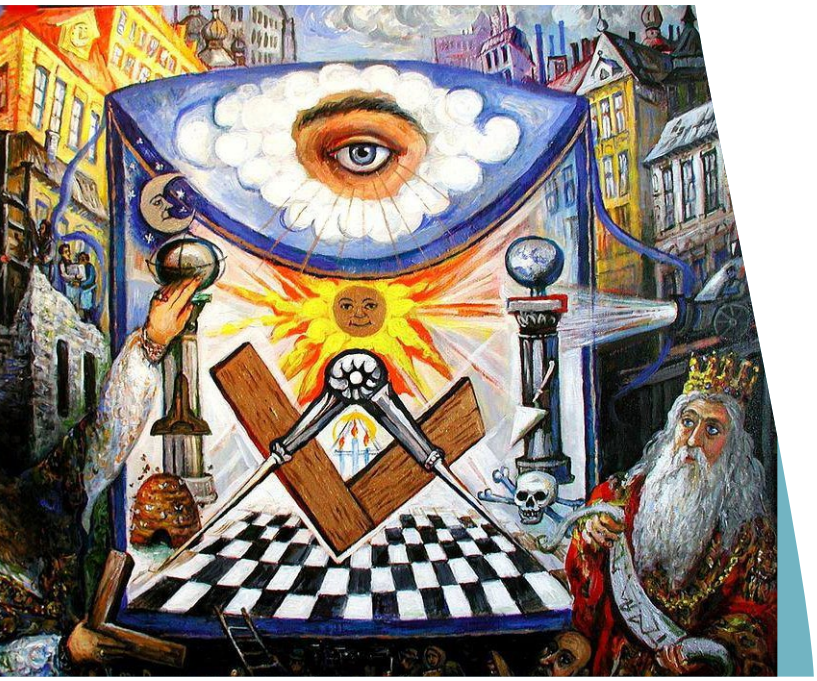

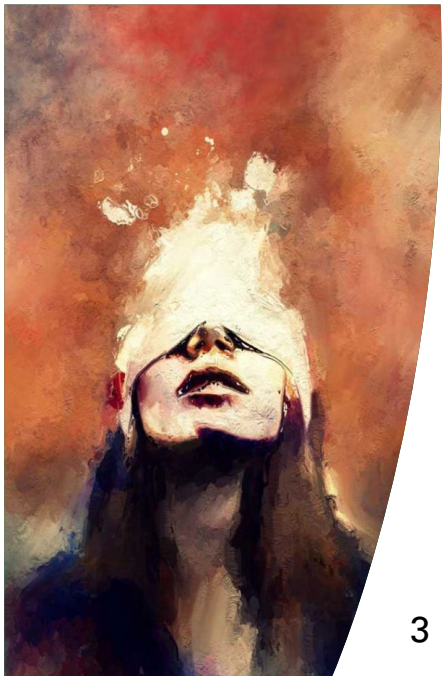

ملاحظة: عناوين المقالات هي روابط، انقر عليها لتأخذك مباشرةً إلى المقال

الصراع بين الأخلاق والدين

د.عبد العزيز القناعي

انشغل العديد من الفلاسفة والمفكرين والمثقفين، سواءً الغربيين أو العرب والمسلمين، في تحديد وتعريف ماهية الأخلاق وعلاقتها بالدين والمجتمع والأفراد، وخصوصًا بعد الثورات العلمية والصناعية والمعرفية التي ألقت بظلالها على جميع المصطلحات والمعاني واللغات التي لها علاقةٌ بالتصرف والسلوك والأفكار.

وتاريخيًا، عرف الإنسان التجربة الأخلاقية حين بدأ بإصدار أحكامٍ قيميةٍ على سلوكه وسلوك الآخرين تتعلق بالخير والشر والخطأ والصواب، وهذه الأحكام أو القوانين البدائية شكلت منظومةً حكميةً ضابطةً لسلوك وتصرفات الفرد والمجموعات داخل المجتمعات القديمة. فلا مجتمعٌ بشريٌ بدون قيمٍ خُلقيةٍ تكون ضابطةً لسلوكيات الأفراد. فالإنسان وحده هو الذي يحمل صفة الكائن العقلاني الأخلاقي لأن القيم الأخلاقية أصبحت تقترب من الضرورات والحاجات البيولوجية.

وقد قال سقراط «إن الفضيلة علمٌ والرذيلة جهل»؛ فالأخلاق هي جملة المبادئ النظرية والقواعد العملية التي على المرء اتّباعها ليحيا وفق طبيعته بوصفه كائنٌ اجتماعيٌّ له طلباتٌ وغرائز وحاجات.

وفي جانبٍ آخر، قدمت الأديان في نسختها السماوية والأرضية الأخلاق بكونها ذات صبغةٍ إلهيةٍ وتوصياتٍ دينيةٍ تنبع من لدن الوحي وتوصيات الأنبياء والرسل والتابعين.

فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق والآداب التي حث عليها الإسلام وذُكرت في القرآن والسنة اقتداءً بالنبي محمدٍ الذي هو أكمل البشر خُلقًا لقول الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ...وبهذا انحصر معنى ومفهوم الأخلاق في المجتمعات العربية والإسلامية في الدين فقط وفي التراث الإسلامي الذي يُعبّر عن كمال الأخلاق ومعناه ونهاياته.

لكن السؤال المهم اليوم، وبعد ما ذكرناه من تقدم الإنسان علميًا وحضاريًا ومعرفيًا، وبعد توسع العلاقات البشرية وانفتاح الشعوب وظهور الفلسفات الحديثة والقوانين العلمانية المدنية هو: هل للأخلاق علاقةٌ بالدين؟...

أي هل يجب على الإنسان أن يخالف إنسانيته وفطرته كي يمارس أو يتصرف بشكلٍ غير أخلاقيٍّ لمجرد أن الفعل المطلوب تنفيذه هو أمرٌ شرعيٌّ وواجبٌ على الإنسان؟؟ وكمثالٍ على ذلك نقول هل السبايا وملك اليمين وزواج القاصرات أفعالٌ أخلاقيةٌ بمفهوم الأخلاق الحديث؟...

أم أنها تصرفاتٌ وسلوكياتٌ مقبولةٌ بل ويجب تطبيقها لأنها مشروعةٌ دينيًا وتم تنفيذها في التاريخ الإسلامي؟؟...

وفي تساؤلٍ آخر هل ما تم تصويره مؤخرًا في الكويت عن إلقاء القبض على رجلٍ من المتشبهين بالنساء وكشف ملابسه لإثبات وجود وشمٍ على الظهر كمخالفةٍ قانونيةٍ لعامل يعمل في أحد المقاهي يعتبر أمرًا لا أخلاقيًا ومنافيًا لحقوق الجسد وكرامة الوافدين أم أنه تطبيقٌ للقانون؟؟
وهل لو كانت المخالفة لمواطنٍ كويتيّ فهل سيتجرأ المفتش بعرض صورة المواطن؟؟...

لا شك أنها إشكالياتٌ عميقة، فالأمر لا يتوقف عند هذا الحد. فما كشفت عنه الحادثة هو ردة الفعل بين أفرادٍ وجدوا في هذا التصرف أمرًا غير لائقٍ بل هو بمثابة تعدٍّ قانونيٍّ ودستوريّ على قيمة الإنسان وجسده مهما كانت انتماءاته أو ديانته أو ميوله الجنسية، وبين أفرادٍ وجدوا أن المتهم يستحق التشهير، ليس فقط لأنه مخالفٌ بل لأنه أيضًا متشبهٌ بالنساء كما قلنا سابقًا وهو ما يؤذي مشاعرهم الإسلامية ويعتدي على مجتمعهم المحافظ كما ذكر البعض؛ وهذه الحادثة دليلٌ على خلط الكثير من الناس بين الأخلاق والدين، بل نجد الكثير من الناس يصرّحون ألّا أخلاق بدون دينٍ وهذا خطأٌ كبير، فالأخلاق هي المنظومة الضابطة للسلوكيات المقبولة التي تتوافق عليها الجماعة وفق القانون المتوافق عليه دستوريًا ويمثل العدالة والمساواة، وليس وفق رأيّ أو دين أو مذهب الأكثرية.

ومن جهةٍ أُخرى هناك أعمالٌ مستهجنةٌ ومرفوضةٌ لا يقبلها الذوق الاجتماعي، ولا تتوافق مع طبيعة العلاقات الإنسانية الاجتماعية، وهذه أيضًا يحددها القانون بشرط ألّا تتعارض مع حرية الآخرين.

إذن هنا نستطيع أن نقول بأن المبادئ الأخلاقية مختلفةٌ ومتعددةٌ عند الشعوب، ونسبية. فهناك أخلاقٌ وقيمٌ راقيةٌ وحضاريةٌ وتُعتبر من العادات السائدة عند شعبٍ ما، بينما تجدها غير مقبولةٍ وممجوجةٍ ومستهجنة، بل وحرامٌ عند شعبٍ آخر أو حتى عند نفس الدين أو نفس المذهب...

فحشر الأخلاق في الدين فقط ورفض نسبيتها واختلافها بين شعبٍ وآخر يجعل من الإنسان خاضعًا لمبادئ قديمةٍ لا تتوافق مع العصر الحديث، أو تُعتبر بمثابة ثقلٍ وضغطٍ نفسيٍّ يؤدي في النهاية إلى مضاعفاتٍ نفسيةٍ وعقليةٍ وتشوهاتٍ في التصرفات والسلوك الإنساني القويم. فإضفاء صفة القدسية على الأخلاق، يجعلها بدلًا من أن تكون غايتها خدمة الإنسان في الحياة بتنظيم علاقاته الاجتماعية، تصبح أن لا غاية من وجود الإنسان إلا خدمة الأخلاق المقدسة.

فالعادات والتقاليد مثل الشرف والأكل واللباس والزواج والصدق والشجاعة والكرم واحترام الجار والصداقة هي أخلاقٌ تختلف في تعريفها وتطبيقاتها من شعبٍ إلى آخر، ومن بيئةٍ إلى أُخرى. وكذلك اليوم تُعتبر المثلية وحقوق الإنسان والإجهاض والاستنساخ والإعدام والإلحاد، من القضايا الأخلاقية التي يختلف عليها الناس، ولم تعد ملحقةً بالدين أو بالتحريم الأبدي ...

أي أن الأخلاق تتطور وتتغير وتتشكل حسب الواقع وحسب الحياة ومتطلباتها بما يحفظ للإنسان حريته وكرامته ورأيه.

فلا مجال اليوم أن يكون الإنسان وصيًا على الأخلاق أو على الإنسان، ولا مجال لأن يعتدي أي فردٍ على حرية الآخر طالما لم تؤدِّ حريته إلى إحداث الضرر والأذى، ولا مجال أن يتم إهانة كرامة أي إنسانٍ لمجرد أنه مختلفٌ عنك في الدين والمذهب والميول الجنسية...

فالإنسان قيمةٌ عليا، وهو صانع الحضارة والعلم والفلسفة والفنون، وإهانة عقله وجسده هو اعتداءٌ صارخٌ وقبيحٌ على قيم الحداثة وحقوق الإنسان والحريات الفردية.

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

رسومات دينية ساخرة

M80

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

https://www.facebook.com/groups/arbangroup/

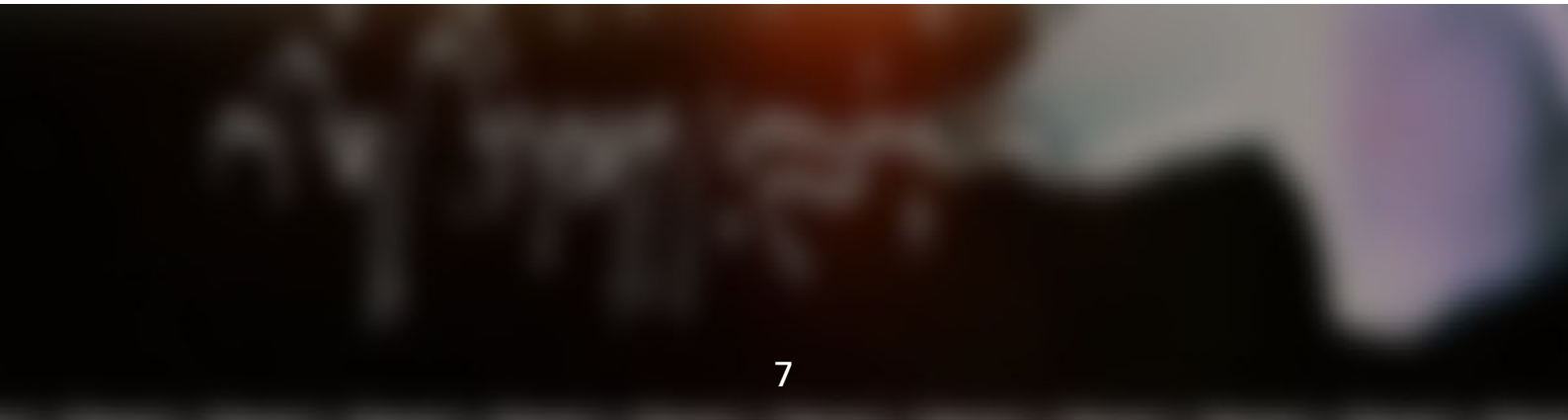

هدم أسطورة دين العفّة جـ 7
محمد - 2

Moussa Eightyzz

عن الخصائص النبوية

تأكيدًا لكل ما سبق وإضافةً عليه، ننقل عن المصادر الإسلامية تقريرهم لما يسمّى "خصائص النبي"، وهي المميزات التي يقرّون بأن خالق الكون قد منحها لرسوله من دون الناس.

والطريف أن أكثر تلك الخصائص متعلقٌ بالنكاح وما حوله؛ بعضها مررنا به وبعضها جديدٌ صادم.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

من تفسير القرطبي للآية 50 من سورة الأحزاب نقرأ أن الله قد أحل لنبيه ستة عشر أمرًا، ما يهمنا منها هو

1- «الزِّيَادَة عَلَى أَرْبَع نِسْوَة» فهو قد جمع بين إحدى عشرة زوجةً كما قلنا،
2- «النِّكَاح بِلَفْظِ الْهِبَة» أي بكلمة "وهبتك نفسي" من دون أي شروطٍ أخرى للعقد كالمهر أو الشهود أو الولي،
3- «سُقُوط الْقَسْم بَيْن الْأَزْوَاج عَنْهُ» وهو ما مررنا به من أن محمدًا غير ملزمٍ بالعدل بين زوجاته،
4- «إِذَا وَقَعَ بَصَره عَلَى اِمْرَأَةٍ وَجَبَ عَلَى زَوْجهَا طَلَاقهَا»!!
5- وأما الأخيرة فهي أنه «إِذَا طَلَّقَ اِمْرَأَة تَبْقَى حُرْمَته عَلَيْهَا فَلَا تُنْكَح».

وفي مصادر أخرى عديدةٍ وردت تلك الخصائص النبوية، ونقتبس فيما يلي عن موقع "موسوعة الكلم الطيب" وعن بحثٍ منشورٍ على الإنترنت لأبي معاوية البيروتي بعنوان "خصائص النبي صلّ الله عليه وسلّم".

من تلك الخصائص كما قلنا أنه يحق للنبي الزيادة عن أربع زوجات؛ وفي تفسير ابن كثير، 1/640، ينقل لنا عن الإمام الشافعي أنه قال «وقد دلَّت سنةُ رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ- المبينة عن الله أنَّه لا يجوزُ لأحدٍ غير رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ- أن يجمعَ بين أكثر من أربع نسوة»، ويضيف ابن كثير «وهذا الذي قاله الشافعيُّ مجمعٌ عليه بين العلماءِ».

ومنها اختصاصه بالزواج بدون وليٍّ أو شهود، لأن النبي، كما جاء في القرآن، أولى بالمؤمنين من أنفسهم. ويقول ابن قدامة في المغنى «أما نكاح النبي صلّ الله عليه وسلم بغير وليٍّ وغير شهودٍ فمن خصائصه في النكاح فلا يلحق به غيره»، وذلك رغم أن هذا لا يصح شرعًا، ففي "إرواء الغليل"، 6/258، «عن عائشةَ -رَضيَ اللهُ عنهُا- قالتْ: قالَ صلّ اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: "لا نِكاحَ إلا بوليٍّ وشاهدينِ"»، وفي "نضرة النعيم" 1/508 تبريرٌ لذلك الاستثناء المحمدي، فنقرأ «إنما اعتُبِرَ الوليُّ في نكاحِ الأُمَّةِ للمحافظةِ على الكفاءةِ، وهو -صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ- فوقَ الأَكْفَاءِ، وإنّما اعتُبِرَ الشُّهودُ لأمنِ الجُحُودِ، وهو -صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ- لا يجحدُ».

هكذا فالنبي فوق الشبهات وفوق الشك وفوق الشريعة التي جاء بها، ومن تتزوجه لا تحتاج إلى وليٍّ، وذلك رغم أنه جاء في أحاديث أخرى عن محمدٍ أن المرأة التي تُزوج نفسها بدون وليٍّ تعتبر زانية! كما في "لأحكام الصغرى"، 613، و "شرح البخاري" لابن الملقن، 24/403، و "تحفة المحتاج"، 2/364، وغيرها.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
ج7: محمد - 2

لكن الملاحظ أن زيجات محمدٍ لم يقررها بشر، وإنما هي تُنسب لخالق الكون ذاته، فالله شخصيًّا هو الذي زوّج محمدًا جميع نسائه. فنقرأ ذلك في سورة الأحزاب 37

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾

كما في أحاديث عديدة، وبالطبع فمن لا يصدق أن الله هو من زوَّج نساء محمدٍ له فعليه أن يصعد بنفسه إلى السماوات ليتأكد منه!

وهناك إباحة الموهوبة له، فمن حق النبي أن يتزوج أي امرأةٍ بكلمة الهبة فقط، كما قال ابن كثير في تفسير الأحزاب 50 «...أما هو، عليه السلام، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيءٌ ولو دخل بها، لأن له أن يتزوج بغير صداقٍ ولا وليٍّ ولا شهودٍ، كما في قصة زينب بنت جحش، رضي الله عنها. ولهذا قال قتادة في قوله: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: ليس لامرأةٍ أن تهب نفسها لرجلٍ بغير وليٍّ ولا مهرٍ إلا للنبي صلّ الله عليه وسلم».

ثم هناك حق محمدٍ في أن يعقد على المرأة من غير استئمارها لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فلا يحق للمؤمنة طبعًا رفض ما أمر به رسول الله.

كما يُباح للرسول النكاح في الإحرام، بالمخالفة للشريعة، فقال النووي في "المجموع شرح المهذب" «الأصح عند أصحابنا أن للنبي صلّ الله عليه وسلم أن يتزوج في حال الإحرام، وهو قول أبي الطيب بن سلمة وغيره من أصحابنا، والمسألة مشهورةٌ في الخصائص من أول كتاب النكاح».

هناك أيضًا حق محمدٍ في ما يسمى "الصفي" وهو أن يصطفي من الغنيمة ما يشاء قبل القسمة، وهو أمرٌ خاصٌّ به وحده؛ قال ابن الملقن في "غاية السول":

«اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل قسمتها من جاريةٍ أو غيرها، ويسمّى المختار الصفي والصفية، والجمع الصفايا، ومن صفاياه صلّ الله عليه وسلم صفية بنت حيي، اصطفاها وأعتقها وتزوجها».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

ثم نأتي للخاصية الأخيرة، أن النبي
«إِذَا طَلَّقَ اِمْرَأَةً تَبْقَى حُرْمَته عَلَيْهَا فَلَا تُنْكَح»،
أي أنه لا يجوز لأحدٍ أن يتزوج نساء محمدٍ بعد طلاقه لهن، أو بعد موته؛ كما جاء في سورة الأحزاب 53
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾،

وهي قصةٌ تستحق وقفةً أخرى، تأتي في إطار الحديث عن زيجاته ببعض التفصيل.

زيجــاته!

الكل يعرف بشكلٍ عامٍّ قصة زواج نبي الإسلام بأولى زوجاته: التاجرة الثرية التي استأجرت محمدًا ليتاجر في أموالها، ثم ما لبثت أن دعته إلى الزواج بها، ولكن هناك رواياتٍ إسلاميةً يحرص الشيوخ على عدم ذكرها أمام العوام، منها كيفية حدوث ذلك الزواج المبارك.

حيث نقرأ أن خديجة أسقت والدها خمرًا حتى ثمل، ثم دعت محمدًا وأقرباءه ودخلوا عليه وأقنعوه وهو سكران بأن يزوج خديجة لمحمد؛ وحين أفاق الرجل غضب وأخذ سلاحه، وكذلك فعل بنو هاشم، وكادت تندلع الحرب. نقرأ القصة في "تاريخ الطبري"، باب زواج خديجة، وفي "الطبقات الكبرى" لابن سعد، ذكر تزويج الرسول خديجة بنت خويلد.

وطوال حياة خديجة لم يتزوج محمدٌ غيرها، ودعمته هي ماليًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا، ولكن بعد وفاتها وبعد الهجرة، بدأ سلسلة زيجاته ومغامراته النسائية.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

عائـشـة

أما الزوجة الأشهر، عائشة، فقد تزوجها وهي في السادسة من عمرها، ثم دخل بها وهي في التاسعة.
القصة نقرأها في "صحيح البخاري" ، 3894، و "صحيح مسلم"، 1422، و "سنن أبي داود" ، 4933، وغيرها من المصادر الإسلامية، حيث تحكي عائشة نفسها قائلة

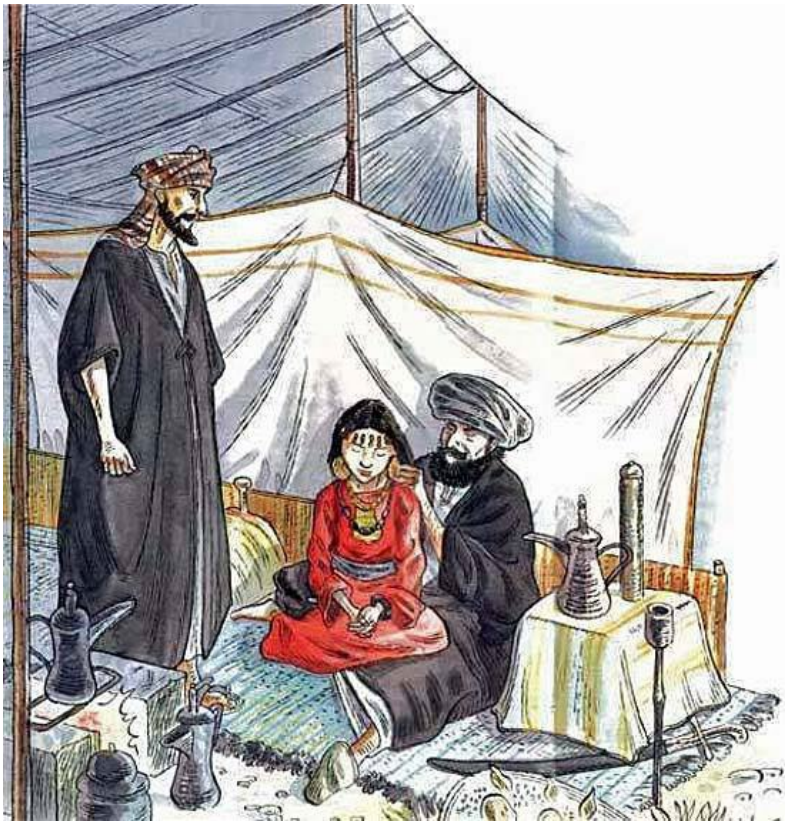

«تزوجني النبي صلّ اللهُ عليه وسلَّم وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمزق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحةٍ، ومعي صواحب لي، فصرخَتْ بي فأتيتها، لا أدري ما تريد بي فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذتْ شيئًا من ماءٍ فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت، فقُلْن: على الخير والبركة، وعلى خير طائرٍ، فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله صلّ اللهُ عليه وسلَّم ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومَئذ بنت تسع سنين».

وتفاصيل القصة، كما تحكيها بطلتها، تعتبر أبلغ ردٍّ على من يبرر جريمة اغتصاب طفلةٍ عن طريق ترديد مزاعم سخيفةٍ بشأن بلوغ الفتيات بشكلٍ مبكرٍ في تلك البيئات... إلخ؛

فهنا نرى أنهم قد أخذوا عائشة، ليس وهي تدرس في الجامعة، وليس وهي تقرأ كتابًا في إدارة الأعمال، وإنما وهي تلعب على أرجوحةٍ كأي طفلة؛ كما لم يستشرها أحدٌ فيأخذ موافقتها، بل لم يخبروها أين يذهبون بها! فإن لم يكن ذلك اغتصابًا صريحًا، بتواطؤ الأهل، فلا أدري ماذا يكون!

وفي مصادر أخرى، مثل "البداية والنهاية" لابن كثير 3/129 و "مجمع الزوائد" للهيثمي 9/228 و"تاريخ الإسلام" للذهبي 1/280، نقرأ أن أبا بكرٍ حين سمع برغبة محمدٍ استنكر الأمر قائلًا "أوَ تصلُح لَهُ وَهيَ ابنةُ أخيهِ؟!"، لكنه سرعان ما وافق تحت إصرار رسول الله.

هدم أسطورة دين العفّة
جـ 7: محمد - 2

أبسط قواعد الزواج أنه شراكةٌ بين شخصين ناضجين واعيين. ولا أحد يتصور أي درجةٍ من التقارب أو التفاهم العقلي بين رجلٍ في العقد السادس وطفلةٍ في التاسعة.
ما شكل الحوار الذي يمكن أن يدور بين هذين الزوجين؟ حين نفكر في مثل تلك الأسئلة نجد أن الأمر لا يعدو كونه مجرد نزوةٍ جنسيةٍ بحتةٍ للنبي.

ولم ينسَ محمدٌ أن ينسب تلك الزيجة لله، حيث قال إنه رأى عائشة في المنام، يأتي له جبريل بصورتها فيقول له هذه زوجته في الدنيا والآخرة. نقرأ ذلك في "صحيح مسلمٍ بشرح النووي"، باب فضل عائشة، و "الجامع الصحيح"، باب فضل عائشة.

وفوق هذا، فإن تلك القصة هي أحد أهم الأدلة التي يستخدمها الفقهاء لإباحة نكاح الأطفال والدخول بهن، عملًا بالسنة النبوية، واستشهادهم بالقصة هو دليلٌ آخر على أن عائشة كانت طفلةً غير بالغةٍ وقت أن دخل بها محمدٌ، على عكس ما يحاول إثباته بعض المسلمين (المودرن) الخجولين بشدةٍ من تصرفات نبيهم.

وهذا ما نقرأه في موقع "إسلام ويب"، مركز الفتوى، فتوى رقم 196965، فبعد أن يذكر المفتي حديث زواج عائشة في البخاري ومسلم، يقول «... وهذا يدل على صغرها وأنها لم تبلغ الحلم، فقد كانت تلعب في أرجوحةٍ لها مع صواحبها في اليوم الذي بُني عليها فيه». ثم يقول «ولذلك قالت رضي الله عنها: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة، ذكره الترمذي في سننه. وهذا ليس معناه أنها قد بلغت المحيض وصارت مكلفةً، وإنما معناه صلاحها للزواج في الغالب، فيكون لها حكم المرأة في هذه الأمور وما يتصل بها، ولذلك فإن أهل العلم يستدلون بزواج النبي صلّى الله عليه وسلم بعائشة، ودخوله بها في هذه السن، على مسألة نكاح الصغيرة. وقد ظلت السيدة عائشة عند النبي صلّى الله عليه وسلم مدةً قد تصل لخمس سنين وهي غير بالغة».

ويستمر الموقع بنقل أقوال علماء الإسلام التي تؤكد أن عائشة لم تكن بالغةً وقت الزواج والدخول، وأنها ظلت طفلةً في بيت محمدٍ عدة سنواتٍ ولذلك سمح لها باللعب بالدُّمى (العرائس).

هش لجدل
مجموعة حوارية إجتماعية
مجموعة على الفيسبوك

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

ونكمل الفتوى: «قال العيني في "عمدة القاري": مطابقته للترجمة من حيث أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم كان ينبسط إلى عائشة، حيث يرضى بلعبها بالبنات، ويرسل إليها صواحبها حتى يلعبنَ معها، وكانت عائشة حينئذٍ غير بالغة، فلذلك رخّص لها. والكراهة فيها قائمةٌ للبوالغ، وقد بقيت على هذه الحال إلى غزوة خيبر على الراجح. قال الخطابي: ... إنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ. قال البيهقي في "السنن الكبرى": كانت صغيرةً في الوقت الذي زُفَّت فيه إلى النبي صلّ الله عليه وسلم ومعها اللعب ... وليس في شيءٍ من الروايات أنها كانت بلغت مبلغ النساء بغير السن في وقت زفافها» انتهى.

بعد خطبة النبي لعائشة، وقبل زواجه منها، تزوج من امرأةٍ أخرى هي سودة بنت زمعة، ولها قصةٌ أخرى مشوقة.

الظلم الحلال

نبدأ من الآية 128 من سورة النساء ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

حين ننظر في التفاسير نجد أن الآية تتحدث عن المرأة الدميمة أو كبيرة السن، والتي تخاف من زوجها أن يطلقها، حيث بإمكانها أن تتنازل له عن بعض حقوقها في مقابل أن يتمسك بها!

ومن تفسير الطبري للآية «أن رجلًا سأل عليًّا رضي الله عنه عن قوله: {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا} قال: تكون المرأة عند الرجل دميمةً فتنبو عينه من دمامتها أو كبرها، فإن جعلت له من أيامها أو مالها شيئًا فليس عليه جناح»؛ ثم يخبرنا أن رجلًا سأل عمر عن الآية فقال كلامًا مشابهًا «هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سِنّها، فيتزوّج المرأة الشابة يلتمس ولدها، فما اصطلحا عليه من شيءٍ فهو جائز».

وفي تفسير ابن كثير نفس الشيء «عن عائشة، في قوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: هو الرجل يكون له امرأتان: إحداهما قد كبرت، أو هي دميمةٌ، وهو لا يستكثر منها، فتقول: لا تطلقني، وأنت في حلٍّ من شأني»، وهذا الحديث ثابتٌ في الصحيحين.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

وهنا الظلم والحال المهين للمرأة لا يحتاج منّا إلى توضيحٍ، ولكن المفاجأة الأخرى التي نجدها في التفاسير والروايات وكتب الأحاديث هي أن الآية نزلت في محمدٍ وواحدةٍ من زوجاته، سودة بنت زمعة.

فتلك المرأة، التي كانت أول من تزوجها محمدٌ بعد وفاة خديجة، فكانت ترعى بيته وتخدم بناته، ما لبثت أن كبر سنها فملّ منها النبي وأراد أن يطلقها، خاصةً أنه قد صار لديه عددٌ آخر من النساء الأصغر والأجمل، فتوسلت سودة إليه أن يبقى عليها، في مقابل أن تتنازل عن يومها لعائشة الأصغر والأجمل، فوافق النبي بذلك، ونزل القرآن يبارك ذلك الوضع.

ومن الطبري «وزعم أنها نزلت في رسول الله صلّ الله عليه وسلم، وفي سودة بنت زمعة كانت قد كبرت، فأراد رسول الله صلّ الله عليه وسلم أن يطلقها، فاصطلحا على أن يمسكها ويجعل يومها لعائشة، فشحت بمكانها من رسول الله صلّ الله عليه وسلم».

وفي تفسير ابن كثير للآية نقرأ «عن هشامٍ، عن أبيه عروة، قال: أنزل الله في سودة وأشباهها: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ وذلك أن سودة كانت امرأةً قد أسنت، ففزعت أن يفارقها رسول الله صلّ الله عليه وسلم وضنت بمكانها منه، وعرفت من حب رسول الله صلّ الله عليه وسلم عائشة ومنزلتها منه، فوهبت يومها من رسول الله صلّ الله عليه وسلم لعائشة، فقبل ذلك رسول الله صلّ الله عليه وسلم»، وفي روايةٍ أخرى «بعث النبي صلّ الله عليه وسلم إلى سودة بنت زمعة بطلاقها، فلما أن أتاها، جلست له على طريق عائشة، فلما رأته قالت له: أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه، واصطفاك على خلقه، لما راجعتني، فإني قد كبرت، ولا حاجة لي في الرجال، لكن أريد أن أبعث مع نسائك يوم القيامة، فراجعها».

وفي "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب سودة، أنها ظلت تلح على محمدٍ أن يبقي عليها وهو يرفض، إلى أن تنازلت عن يومها وليلتها لعائشة حبيبة محمد، حيث نقرأ «بعث النبي إلى سودة بطلاقها، فلما أتاها جلست على طريقه إلى بيت عائشة، فلما رأته قالت أنشدك بالذي انزل عليك كتابه واصطفاك على خلقه لما طلقتني الموجدة وجدتها فيّ (أي لسيئةٍ فيّ) قال لا؛ قالت فإني أنشدك بمثل الأولى أما راجعتني وقد كبرت ولا حاجة لي في الرجال ولكن أُحب أن أُبعث في نسائك يوم القيامة فراجعها؛ إلى أن قالت فإني جعلت يومي وليلتي لعائشة حبّة رسول الله».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

وفي ذات المصدر ترد القصة بشكلٍ أكثر وضوحًا، يؤكد أن المسألة كانت مسألةً جنسيةً بالأساس، حيث ورد «عن عائشة قالت: كانت سودة بنت زمعة قد أسنت وكان النبي لا يستكثر منها (أي لا يعاشرها جنسيًّا) وقد علمت مكاني من النبي وانه يستكثر مني (أي كان يضاجعها كثيرا!)».

وهكذا جاء الوضع الجديد، فنقرأ من تفسير ابن كثير «عن ابن عباسٍ: أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم توفي عن تسع نسوةٍ، وكان يقسم لثمان».

وفي "سنن ابن ماجة"، 1618، نجد تلخيصًا للقصة «لمَّا كبِرَت سَودَةُ بنتُ زَمعَةَ وَهبَت يومَها لعائشةَ فَكانَ رسولُ اللَّهِ صلّ اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يقسِمُ لعائشةَ بيومِ سَودَةَ».

غنيمةٌ أخرى

وحين أراد محمدٌ أن ينكح امرأةً أخرى شديدة الجمال، أم سلمة، والتي رفضت من قبل الزواج بأبي بكرٍ وعمر، حاولت المرأة رفض محمدٍ أيضًا متحججةً بأن لديها أولادًا من زيجاتٍ سابقة، وأنه لا يوجد شاهدٌ من أوليائها كما جرى العرف وكما أمر الإسلام، بالإضافة لكونها، على حد قولها، امرأةً شديدة الغيرة، إلا أن النبي رفض حججها جميعًا، كما نقرأ في "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب أم سلمة، وأجابها بأن الله سيتولى كل تلك الأمور، بما فيها غيرتها!

ومما يؤكد أن أم سلمة كانت مغصوبةً على تلك الزيجة، ما ذكرته المصادر الإسلامية أنها كانت تتهرب من ممارسة الجنس مع النبي، بأنها كانت تأخذ ابنتها لترضعها كلما رأته، حيث نقرأ في نفس المصدر السابق «وكان رسول الله يأتيها فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها...».

إلا أن أخا أم سلمة، عمارٌ ابن ياسر، أدرك ما تقوم به، فدخل عليها وأخذ منها ابنتها بكل غلظةٍ، وعزلوها عنها، حتى يتمكن النبي من مضاجعتها، حيث نقرأ باقي القصة «... ففطن عمارٌ بن ياسرٍ لما تصنع. قال فأقبل ذات يومٍ وجاء عمارٌ وكان أخاها لأمها، فدخل عليها فاستشطها من حجرها. وقال دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيتِ بها رسول الله. فدخل (أي محمد) فجعل يقلب بصره في البيت يقول أين زناب ما فعلت زناب؟ قالت جاء عمار فذهب بها. قال فبنى رسول الله بأهله».

وفي كل الأحوال، كانت تلك الزيجة سببًا في تدشين حزبٍ نسائيٍّ جديدٍ

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

من زوجات محمد، كما تحكي عائشة في نفس المصدر، "الطبقات الكبرى" ، حيث نقرأ «عن عائشة قالت لما تزوج النبي أم سلمة حزنت حزنًا شديدًا لما ذكروا من جمالها؛ قالت فتلطفتُ لها حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وُصفت لي في الحسن والجمال؛ قالت فذكرتُ ذلك لحفصة، وكانتا يدًا واحدةً، فقالت لا والله إن هذه إلا الغيرة».

فمن الواضح إذن أن الله لم يتولَّ أمر غيرة نساء النبي!
وذلك الثنائي الذي ستكون له مغامراتٌ أخرى في بيت النبوة، منها مثلًا أن آية ﴿لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ... ولا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾، نزلت بسبب أن أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة سخرا من هيئة أم المؤمنين أم سلمة، وغير ذلك من القصص، إلا أن ما سنهتم بتناوله هنا هو ما يقع داخل موضوعنا الأشمل وهو الجوانب الجنسية بالأساس.

روايات الفحولة النبوية

من الطبيعي لأي متابعٍ لكثرة زيجات محمدٍ أن يتساءل عن الجانب الجنسي: كيف يمكن لرجلٍ في العقد السادس أن يتعامل مع أكثر من عشر نساء؟

وهنا تكفلت الروايات، القوية سندًا والضعيفة، بسد الفضول والإجابة على التساؤلات سليمة النية أو خبيثتها، فنقرأ في "صحيح البخاري"، 268، و "صحيح ابن حبان"، 1208، أن النبي كان يطوف على جميع نسائه بشكلٍ متتابعٍ، لأن الله منحه قوة ثلاثين رجلًا: «كان النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلَّم يَدورُ على نسائِه في الساعة الواحدةِ، منَ الليلِ والنهارِ، وهنَّ إحدى عشْرَةَ. قال: قلتُ لأنسٍ: أوَ كان يُطيقُه؟ قال: كنا نتحدَّثُ أنه أُعطِيَ قوةَ ثلاثينَ».

وهناك أحاديث أخرى، مثلما ورد في "لمعجم الأوسط"، 1/178، و"مجمع الزوائد"، 4/296، تصل فيها القوة إلى أربعين، حيث يقول محمدٌ عن نفسه «أُعطِيتُ قوَّةَ أربعينَ في البطشِ والنِّكاحِ».
وفي "الجامع" لعبد الرازق، و"منتخب كنز العمال" للشيخ علي متقي الهندي، باب النكاح، نجد أن القوة وصلت إلى خمسةٍ وأربعين، وأنه لم يكن يستقر عند امرأةٍ واحدةٍ بل يتنقل بينهن:
«عن أبي سعيدٍ قال: أُعطي رسول الله قوة بضع (نكاح) خمسةً وأربعين رجلًا؛ وأنه لم يكن يقيم عند امرأةٍ يومًا تامًّا، كان يأتي هذه الساعة ويأتي هذه الساعة يتنقل بينهنّ كذلك اليوم، حتى إذا كان الليل قسم لكل امرأةٍ منهن ليلتها».
وفي "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب ذكر ما أعطي رسول الله من القوة على الجماع، نقرأ أن السر في تلك الفحولة

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

الأربعينية هو طعامٌ خاصٌّ جاء به جبريل إلى رسول الله: «عن النبي قال: أتاني جبريل بقدرٍ فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلًا في الجماع».

وفي نفس المصدر ما يدل أنه كان يعاني من الضعف الجنسي حتى أتاه الله بذلك الطعام السحري، الكُفّيت: «قال رسول الله كنت من أقل الناس في الجماع حتى أنزل الله علىّ الكفيت فما أريده من ساعةٍ إلا وجدته وهو قدرٌ فيها لحم».

وبالطبع يبقى لكل شخصٍ أن يفسر المدلول الفعلي لتلك الروايات المبالغ فيها، ليرى إن كانت تدل على فحولةٍ نبويةٍ حقيقية، أم أنها بالأحرى مصاغةٌ خصيصًا لدرء شبهات الضعف أو انعدام الكفاءة عن الرجل الكهل في مواجهة هذا العدد من النساء؟

وبعيدًا عن ذلك، فمن الروايات التي تعطينا لمحةً عن مدى "نظافة" رسول الله، هي التي تذكر أنه كان يضاجع عدة نساءٍ دون أن يغتسل سوى مرةٍ واحدةٍ في أول رحلة الطواف الزوجية تلك، وهو ما نقرأه في "صحيح مسلم"، 309، و "السنن الكبرى" للبيهقي، 1/204، و "صحيح ابن حبان"، 1206، و "المعجم الأوسط"، 5/105، و "المحلي" لابن حزم، 2/46: «عن أنسٍ رضي الله عنه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يطوف على نسائه بغسلٍ واحد».

ولنا أن نتساءل عن مصير أهل بيت النبوة جميعًا لو أن واحدةً فقط من أمهات المؤمنين تصادف أن لديها مرضًا جنسيًّا قابلًا للعدوى؟

وتتكفل المصادر الإسلامية أيضًا بالتفاخر بتلك القوة النبوية، وربطها بالكمال والنبوة والإيمان، فيعلق الإمام ابن حجر على تلك الأحاديث، في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، 1/451 قائلا: «وفي هذا الحديث من الفوائد... ما أعطي النبي -صلى الله عليه وسلم- من القوة على الجماع، وهو دليلٌ على كمال البنية وصحة الذكورية»، ويقول الصنعاني في "سبل السلام"، 6/128: «وفي الحديث دلالةٌ على أنه -صلى الله عليه وسلم- كان أكمل الرجال في الرجولية، حيث كان له هذه القوة».

ويقول الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول": «الأنبياء زيدوا في النكاح لفضل نبوتهم، وذلك أن النور إذا امتلأ منه الصدر ففاض في العروق التذت النفس والعروق، فأثار الشهوة وقوّاها. وروي عن سعيدٍ بن المسيب أن النبيين عليهم الصلاة والسلام يُفضّلون بالجماع على الناس. وروي عن رسول الله صلّ الله عليه وسلم أنه قال: أُعطيت قوة أربعين رجلًا في البطش والنكاح، وأعطي المؤمن قوة عشرةٍ، فهو بالنبوة، والمؤمن بإيمانه»، ويضيف «قال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: أربعٌ من سنن المرسلين: التعطر والحياء والنكاح والسواك».
وهكذا صار النكاح سنةً نبوية!

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

حتى في الحيض والصيام

قلنا إننا لا نعرف إن كانت تلك الروايات حول فحولة محمدٍ هي حقائق، أم أنها محاولةٌ إسلاميةٌ للتغطية على مشاكل ما أو لقطع الطريق على أي شخصٍ يشكك في إمكانية إرضاء شيخٍ خمسينيٍّ جنسيًّا لذلك العدد من النساء، ولكن ما تخبرنا به الروايات أيضًا أن الرجل كان لا يستطيع الصبر على شهوته ومزاجه الولِع بالنساء، وهو بالمناسبة أمرٌ لا يرتبط بالضرورة بالفحولة والقدرة.

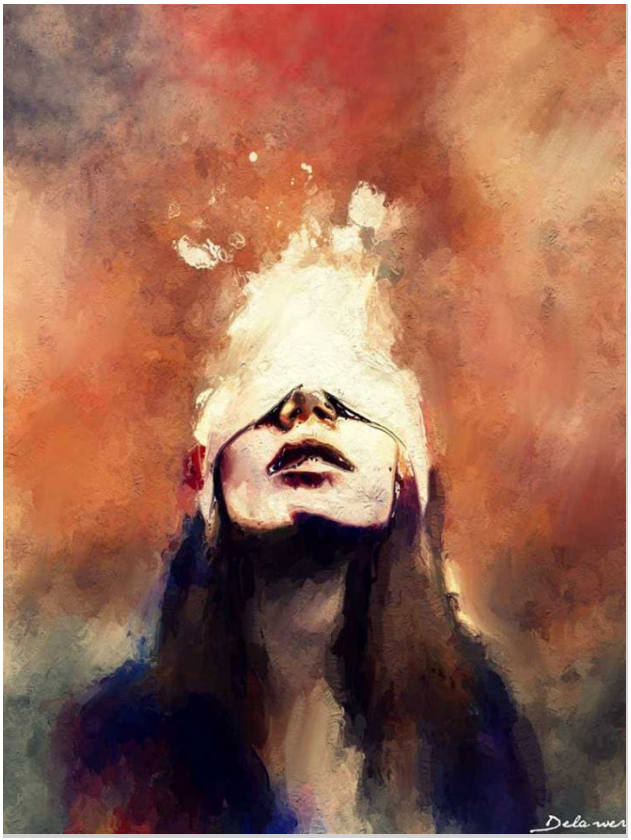

ومن ذلك أنه كان لا يترك نساءه في فترة الحيض، التي أمر القرآن فيها "باعتزال النساء"، ولكن كان يمارس معهُنَّ الجنس دون إيلاجٍ، وهكذا أحلّ لرجال المسلمين، كما ذكرنا في جزءٍ سابقٍ نقلًا عن صحيح مسلم، 302، وغيره؛ ونجد نفس الأمر في "الجامع الصغير" للسيوطي، 6549 و6550: «عن ميمونة قالت كان النبي إذا أراد أن يباشر امرأةً من نسائه أمرها فاتّزرت وهى حائض»، و«عن بعض نساء النبي قُلن: كان النبي إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها ثوبًا»، وفي "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم"، 167 و173: «عن عائشة قالت: كان النبي يباشرني وأنا حائض»، و«عن عائشة قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائض فأراد النبي أن يباشرها أمرها أن تأتزر في فور حيضتها ثم يباشرها» وغيرها من المصادر، مما ينتج عنه اكتمال المتعة من طرفٍ واحدٍ بالطبع هو طرف الرجل.

كذلك كان محمدٌ لا يمتنع عن الجنس في أثناء الصيام، حيث نقرأ في "مسند أحمد" أيضًا، باب مسند عائشة: «عن عائشة قالت: كان النبي يقبِّل بعض أزواجه وهو صائمٌ ثم ضحكت»، و«عن عائشة قالت: أهوى إليّ النبي ليقبلني، فقلت: إني صائمةٌ. قال: وأنا صائمٌ. ثم فأهوى إليّ فقبلني»، و«عن عائشة قالت: إن النبي كان يقبِّلها وهو صائمٌ ويمص لسانها»، و«عن عائشة قالت: تناولني النبي فقلتُ إني صائمةٌ فقال وأنا صائمٌ»، و«عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أن النبي كان يباشر وهو صائمٌ ثم يجعل بينه وبينها ثوبًا، يعني الفرج».

وبالمناسبة الرواية الأخيرة هي عن عائشة بنت طلحة، ابنة أخت عائشة التي مررنا ببعض من سيرتها العطرة جدًا.

وفي "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"، 1827، «عن عائشة أن النبي كان يقبِّلها ويمص لسانها».
وفي "صحيح البخاري"، 1792، و "صحيح مسلمٍ"، 1854 و1856، و "مسند أحمد"، 23000، و "سنن أبي داود"، 2034، «عن

عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلّ الله عليه وسلم يقبِّل ويباشر وهو صائمٌ وكان أملككم لإربه».

وبخصوص العبارة الأخيرة، فلنا أن نتساءل متعجبين: يا ترى ما الذي أدرى عائشة بمدى تحكم ذكور المسلمين في شهواتهم الجنسية، حتى تقارن بينهم وبين زوجها الذي لم تتزوج غيره؟!

ولا ننسى أن محمدًا، في خصيصةٍ أخرى من خصائصه، قد أباح لنفسه ممارسة الجنس في أثناء الإحرام، كما قال النووي في "المجموع شرح المهذب" «الأصح عند أصحابنا أن للنبي صلّ الله عليه وسلم أن يتزوج في حال الإحرام، وهو قول أبي الطيب بن سلمة وغيره من أصحابنا، والمسألة مشهورةٌ في الخصائص من أول كتاب النكاح».

النبي لا يغض بصره

وكأن الزوجات وملك اليمين والواهبات أنفسهنّ له لا تكفي الرسول، فتخبرنا المصادر الإسلامية أن ولهَ محمدٍ بالنساء جعله يمد النظر إلى أي امرأةٍ تسير في الطريق، وهو أمرٌ آخر منع المسلمين عنه ثم أباحه لنفسه.

ففي روايةٍ أخرى نجد النبي واقفًا مع بعض أصحابه، فتمر امرأةٌ أمامهم، فينظر إليها حتى تشتعل شهوته، فيترك من كان معه ويدخل ليمارس الجنس مع زينب، ثم يخرج إلى أصحابه واعظًا إياهم أن يفعلوا مثله!

«...أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صلّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فقَالَ: "إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ"»،

والرواية واردةٌ في "صحيح مسلم"، 1403، و "مسند أحمد"، 22/407، و "سنن أبي داود"، 2151، و "سنن الترمذي"، 1158، و "السنن الكبرى" للنسائي، 7/235، و "صحيح ابن حبان"، 12/384، و "المعجم الكبير" للطبراني، 24/50، و "المعجم الأوسط" للطبراني أيضًا، 3/34.

وهناك روايةٌ أخرى بنفس المعنى، نقرأها في "مسند أحمد"، 29/557، و "الأوسط" للطبراني، 4/159: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ شَيْءٌ، قَالَ: "أَجَلْ، مَرَّتْ بِي فُلَانَةُ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا، فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، فَإِنَّهُ مِن أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الْحَلَالِ"».
نلاحظ أن الرجل لم يلُمْ نفسه على إطلاقه لبصره واشتهائه للنساء المارّات في الطرقات، وإنما ألقى باللوم على المرأة فشبهها هي بالشيطان! رغم أنها كانت غالبًا مسلمةً وملتزمةً بالملابس الشرعية، وإلا كان عليه كنبيٍّ أن ينبهها لكنه لم

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

يفعل، الأمر الذي سيزرع في تلك الأمة سنّةً نبويةً أخرى ستستمر لقرون، وهي سنّة إلقاء اللوم على المرأة والنظر إليها باعتبارها مصدر فتنةٍ شيطانيةٍ وسبب خراب المجتمعات ومنبع كل الشرور... إلخ.

كما نلاحظ أن تلك الشهوة الحارقة لم تصِبْ أيًّا من أصحاب محمدٍ الواقفين معه، فيبدو أنهم كانوا أكثر حياءً وأدبًا والتزامًا بغض البصر من رسولهم!
تلك العادة النبوية في تجاوز غض البصر والتطلُّع بالنظرة الشهوانية إلى النساء دون تمييز، سنجدها تلعب دورًا محوريًا في واحدةٍ أخرى من زيجات النبي الذي يقولون إنه كان أشد حياءً من العذراء في خدرها!

الطمع في زوجة الابن

تبدأ القصة بقيام الله ورسوله بالتعاون على إجبار فتاةٍ على الزواج بشخصٍ لا ترغب فيه، حيث أراد محمدٌ تزويج ابنة عمته، زينب بنت جحش، لمولاه (عبده) وابنه المتبنى زيدٍ ابن حارثة.

نجد ذلك في سورة الأحزاب آية 36 ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُّبِينًا﴾، الأحزاب 36، حيث تخبرنا التفاسير أن تلك الآية نزلت حين طلب محمدٌ من زينب الزواج من زيدٍ فرفضت.

ومن تفسير الطبري للآية نسمع القصة: «عن ابن عباسٍ، قوله: "وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أمْرًا"... إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاهُ زيدٍ بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحشٍ الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلّ الله عليه وسلم: "فانكحيه"، فقالت: يا رسول الله أؤامر في نفسي؟! فبينما هما يتحدّثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: "وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ"... إلى قوله: "ضَلالًا مُبِينًا" قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنْكَحًا؟ قال: نَعم، قالت: إذن لا أعصى رسول الله، قد أنكحته نفسي». ونجد نفس الرواية تتكرر في القرطبي وغيره.

ثم يأتي المشهد الثاني من القصة، في الآية التالية مباشرةً، الأحزاب 37: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

والقصة باختصارٍ أن محمدًا بعد أن زوَّج زينب لزيد، ذهب مرةً ليزورهما ولم يكن زيدٌ في المنزل، فرأى النبي زينب متكشفةً أو شبه عاريةٍ فأعجبه جمالها وأظهر لها ذلك؛ وحين رجع زيدٌ أخبرته زينب بما كان، فذهب زيدٌ إلى النبي عارضًا عليه أن يقوم بتطليق زينب كي يتزوجها هو؛ فطلب منه محمدٌ ألا يقوم بذلك، لكنه فعل، وبالفعل تزوجها محمدٌ فورًا.

وهنا نفهم أن الآية السابقة تعاتب محمدًا على أنه حاول حثّ زيدٍ على التمسك بزوجته، وتخبرنا أنه فعل ذلك خشية كلام الناس أن يظنوا أنه أمر رجلًا بطلاق زوجته ليأخذها لنفسه ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾.

من تفسير الطبري للآية السابقة نقرأ: «وذلك أن زينب بنت جحشٍ فيما ذُكر رآها رسول الله صلّ الله عليه وسلم فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقي في نفس زيدٍ كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله صلّ الله عليه وسلم زيدٌ، فقال له رسول الله صلّ الله عليه وسلم: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ"، (..."وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ" يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوّجها إن هو فارقها، والله مُبدٍ ما تخفي في نفسك من ذلك ﴿وتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلًا بطلاق امرأته ونكحها حين طلَّقها، والله أحقّ أن تخشاه من الناس».

ومن الطبري أيضًا نقرأ المشهد المحوري في القصة، وهو رؤية محمدٍ لزينب وهي متعريةٌ وإعجابه بها:

«قال ابن زيدٍ: كان النبيّ صلّ الله عليه وسلم قد زوّج زيدًا بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله صلّ الله عليه وسلم يومًا يريده وعلى الباب سترٌ من شعرٍ، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرةً، فوقع إعجابها في قلب النبيّ صلّ الله عليه وسلم».

وبالطبع الواضح هنا أن إعجاب النبي لم يكن بأخلاقها أو ثقافتها العالية أو تميز شخصيتها! وإنما كان بجسدها، وهو ما يتسق مع قول القرآن لمحمدٍ أن ما يعجبه من النساء هو "حسنهن" (الأحزاب 52)، ويتسق أيضًا مع قوله هو عن نفسه أنه "يحب النساء"، وأنهن بالنسبة له "متاعٌ" في أحاديث تناولناها سابقًا.

وفي تفسير القرطبي للأحزاب 37، نجد نفس الكلام عن اشتهاء محمدٍ لزوجة رجلٍ آخر، ابنه بالتبني، ورغبته الدفينة أن يطلقها

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

زوجها ليحصل هو عليها، وهو ما كان يخفيه في نفسه، فنقرأ:

«ذهب قتادة وابن زيدٍ وجماعة من المفسرين، منهم الطبري وغيره إلى أن النبيّ صلّ الله عليه وسلم وقع منه استحسانٌ لزينب بنت جحش، وهي في عِصْمة زيدٍ، وكان حريصًا على أن يطلّقها زيدٌ فيتزوّجها هو».

ونقرأ أيضًا في القرطبي قصة رؤية النبي لجسد زينب الأبيض الضخم وإعجابه بها «زوّج النبيّ صلّ الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيدٍ فمكثت عنده حينًا، ثم إنه عليه السلام أتى زيدًا يومًا يطلبه، فأبصر زينب قائمةً، كانت بيضاء جميلةً جسيمةً من أتمّ نساء قريش، فهوِيَها وقال: "سبحان الله مقلّبِ القلوب"! فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيدٍ، ففطِن زيدٌ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها».

هكذا نجد أن الله هو المسؤول عن إجبار زينب على الزواج بزيد، وهو المسؤول عن إلقاء الكراهة له في قلبها، وهو أيضًا المسؤول عن إمالة قلب نبيّه إلى زوجة رجلٍ آخر، ذلك القلب النبوي الذي لا يتحرك إلا أمام الأجساد المكشوفة على ما يبدو، فالله أدرى بنبيه.

ليس ذلك فقط، بل نقرأ في القرطبي أيضًا أن الله هو أيضًا من تكفَّل بكشف جسد زينب للنبي، حيث أرسل ريحًا لتكشف الستار وتعرّي زوجة زيدٍ أمام رسول الله!! «وقيل: إن الله بعث ريحًا فرفعت الستر وزينب مُتَفَضِّلةٌ في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي صلّ الله عليه وسلم، وذلك لما جاء يطلب زيدًا، فجاء زيدٌ فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيدٍ أن يطلقها».

وبعد أن طلقها زيدٌ ونزل القرآن قائلًا "زوجناكها"، دخل محمدٌ على زينب بدون أيٍّ من إجراءات الزواج التقليدية، كما نجد في تفسير القرطبي أيضًا: «... ولما أعلمه الله بذلك دخل عليها بغير إذنٍ، ولا تجديد عقدٍ ولا تقرير صداقٍ، ولا شيءٍ مما يكون شرطًا في حقوقنا ومشروعًا لنا. وهذا من خصوصياته صلّ الله عليه وسلم، التي لا يشاركه فيها أحدٌ بإجماعٍ من المسلمين».

بالطبع، فإياك أن تقول عن ذلك الدخول بدون عقدٍ أو مهرٍ أو أي شيءٍ إنه "زنًى"، حاشاه! وإنما قل إنه "خصيصةٌ نبوية"! وبعد أن قام إله محمدٍ بكل هذا، قام بإرسال جبريل ليزيل الحرج عن رسوله ويضفي الشرعية على الوضع كله، بل ويلوم النبي أنه طالب الرجل بالتمسك بزوجته وخشي كلام الناس!

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

ثم نجد ختامًا أن الله شخصيًّا هو من قام بتزويج محمدٍ لزينب، حيث نقرأ في تفسير القرطبي أيضًا إنها كانت تتفاخر بذلك: «عن أنس بن مالكٍ قال: كانت زينب تَفْخَر على نساء النبي صلّ الله عليه وسلم تقول: إن الله عز وجل أنكحني من السماء».

وعلينا أن نبجّل ذلك الخالق الذي لا هم له سوى قضيب نبيه، وعلينا أن نصدّق أن كل تلك الأفعال حلالٌ طيّبة، لأن خالق الكون لم يجد أسلوبًا أفضل من هذا لإباحة زواج الرجل من طليقة ابنه بالتبني، وعلينا أن نصدّق أن الأمر لا علاقة له من قريبٍ أو بعيدٍ بالمزاج النبوي الجنسي!

أما بعد، فالطريف أننا سنجد النبي يتعلم درسًا من تلك القصة، فيأمر الأزواج بأن لا يسمحوا بدخول أقاربهم على زوجاتهم، وعلى الأخص آباءهم منعًا للفتن، ففي "صحيح البخاري"، 5232، و "صحيح مسلم"، 2172: «أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال: "إياكم والدخول على النساء!"، فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت"». والحمو كما يقول المفسرون وأهل اللغة هم أقارب الزوج، خاصةً أبيه.

وبالطبع فمحمدٌ أبو زيدٍ هو أخبر الناس بالفتن التي قد تقع من دخول الأب على زوجة ابنه!
ثم نجد في حديثٍ آخر، محمدٌ يقوم بإدانة وتحذير الرجل الذي يتلصص بعينيه على بيوت الناس ليرى العورات، بل ويعتبر أنه لو قام أحدهم بفقأ عين ذلك الرجل لما كان مخطئًا، حيث يقول «أيما رجلٌ كشف سترًا فأدخل بصره من قبل أن يؤذن له فقد أتى حدًّا لا يحل له أن يأتيه، ولو أن رجلًا فقأ عينه لهُدرت»، نجده في "جامع الترمذي"، 2650، و "مسند أحمد"، 20842، و "القدر" للفريابي، 216، و "مجمع الزوائد"، 10762. ولكن من البديهي القول أن هذا الحكم لا ينطبق على رسول الله، بل ربما النظر إلى عورات النساء في البيوت هو من إحدى خصائصه أيضًا!

ولكن عفوًا، فلم يكن النبي هو من كشف الستر على زينب، بل الفاعل هو الله شخصيًّا، الذي أرسل ريحًا لهذا الغرض تحديدًا، والعهدة على الإمام القرطبي!
أما الدرس الآخر الذي تعلمه محمدٌ فهو الحجاب وضرورة ستر الزوجات عن الأعين، ذلك التشريع الذي يقال أنه أُمر به إبان زواج النبي بزينب، كما سنرى.

حماية الله لنساء نبيه

رأينا كيف أن النساء في المدينة كُنَّ يَسِرْنَ في الطريق بدون أي نوعٍ من أنواع الحجاب، حتى قرر الله أن يصون نساء نبيه ونساء المؤمنين الحرائر بملابس "إسلاميةٍ" خاصةٍ، ولكن هناك آيةٌ أخرى نزلت بشأن نساء محمدٍ لتفرض عليهن المزيد من الاحتجاب في الملابس والسلوك.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

نقرأ من سورة الأحزاب 53: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

المعنى الواضح للآيات أنها تخاطب الصحابة فتضع لهم حدودًا في التعامل مع خصوصية محمد، فتنهاهم عن دخول بيته بدون استئذانٍ أو بدون دعوةٍ مباشرة، وتمنعهم من المكوث في بيته أكثر من اللازم، بل تطلب منهم الانصراف بعد أن يأكلوا مباشرةً، كما تحرم عليهم التعامل مع نساء محمدٍ إلا من وراء حجاب (ستار)، وأخيرًا تحذر الآية بشدةٍ من أن يقوم أحد الصحابة بالزواج من نساء النبي من بعده وإلى الأبد، ذلك لأن هذا الأمر يعتبر عند الله عظيمًا وخطيرًا جدًّا!
أما أسباب النزول فهناك اختلافٌ حولها كالعادة، نقرأ ذلك في التفاسير: فهناك من قال إن الآية نزلت بعد احتفال النبي بإحدى زيجاته (على الأرجح بزينب بنت جحش)، حيث أنه في أثناء الوليمة في منزله قام بعض الصحابة بإطالة المكوث هناك أكثر من اللازم، بل والتجول في البيت هنا وهناك، فكان لا بد لله أن يرسل جبريل فورًا لتدارك الوضع، ويأمر الصحابة بالانصراف حتى يكون نبي الله مرتاحًا في منزله.

ونقرأ من تفسير الطبري للآية: «عن أنس بن مالكٍ، قال: بَنى رسول الله صلّ الله عليه وسلم بـامرأةٍ من نسائه، فأرسلنـي، فدعوت قومًا إلـى الطعام فلـما أكلوا وخرجوا، قام رسول الله صلّ الله عليه وسلم منطلقًا قِبَلَ بـيت عائشة، فرأى رجلـين جالسين، فـانصرف راجعًا، فأنزل الله: "يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُـلُوا بُـيُوتَ النَّبِـيّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ"».

أما بشأن الحجاب فيبدو أن الله هنا مجرد منفذٍ للفكرة، أما العقل المدبر لها فهو عمر بن الخطاب، كما جاء في الطبري وأيضًا القرطبي، حيث ورد عن أنسٍ بن مالكٍ عن عمر بن الخطاب

«... قلت يا رسول الله، لو ضربتَ على نسائك الحجاب، فإنه يدخل عليهنّ البرّ والفاجر، فأنزل الله عز وجل "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ"».

«وقالت عائشة رضي الله عنها وجماعةٌ: سببها أن عمر قال قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهنّ البَرّ والفاجر، فلو أمرتهنّ أن يحتجبن، فنزلت الآية»، ونفس النص عن دخول البر والفاجر بيت النبوة نقرأه في "صحيح البخاري"، 4790.

هذا ولا ندري على وجه التحديد من هم الفجّار/الصحابة الذين كانوا يدخلون على نساء النبي! وهل هم قِلّة، أم أكثريةٌ إلى درجة أن تشريعًا يوضع من أجلهم؟ ولكن المهم أن هناك العديد من الروايات مفادها أن عمر هو صاحب فكرة حجاب نساء محمد.
ويروي الطبري والقرطبي وغيرهما واقعةً أخرى لنزول الآية السابقة، مفادها أن الصحابة كانوا يأكلون مع محمدٍ

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

وزوجاته فلمست عائشة يد أحدهم، فنزلت آية الحجاب: «وقد قيل: إن سبب أمر الله النساء بالحجاب، إنما كان من أجل أن رجلًا كان يأكل مع رسول الله صلّ الله عليه وسلم وعائشة معهما، فأصابت يدها يد الرجل، فكره ذلك رسول الله صلّ الله عليه وسلم». ونقرأ في "مصنف ابن أبي شيبة"، 7/485، أن ذلك الرجل هو عمر بن الخطاب.

ومن صيغة الآية نكتشف أن محمدًا لم يكن متشككًا متوجسًا من جهة الصحابة فقط، بل ومن جهة زوجاته أيضًا، حيث نقرأ من تفسير الطبري لقوله "ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ": «... يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهنّ المتاع إذا سألتموهنّ ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من ألّا يكون للشيطان عليكم وعليهنّ سبيل».

وما يدل على ذلك أن نبي الإسلام كان يأمر زوجاته بالاحتجاب حتى عن شخصٍ أعمى، فنقرأ في "مسند أحمد"، 6/296، و "سنن أبي داود"، 4112، و "الكبرى" للنسائي، 9197: «عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلّ الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالْحِجَابِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلّ الله عليه وسلم: "احْتَجِبَا مِنْهُ"؛ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ أَعْمَى لاَ يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلّ الله عليه وسلم: "أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟"». فالمطلوب من نساء النبي ألّا يرَين سواه طوال حياتهم.

وذلك على الرغم من أنه حين جاءته امرأةٌ أخرى تدعى فاطمة بنت قيس طلقها زوجها وتريد النفقة، رفض محمدٌ طلبها وأمرها أن تذهب إلى ابن أم مكتومٍ فتمكث عنده دون حرجٍ لأنه أعمى، حيث نقرأ في "صحيح مسلم"، 1480، أن النبي قال لها «لاَ نَفَقَةَ لكِ، فَانْتَقِلي فَاذْهَبِي إلى ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَكُوني عِنْدَهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى، تَضَعِينَ ثِيَابَكِ عِنْدَهُ»؛

علما بأن ابن أم مكتومٍ هو نفس الشخص الذي رفض محمدٌ دخوله على زوجاته، فما سر ذلك الكيل بمكيالين يا ترى؟ هل عِرْض نساء محمدٍ أجدر بالحفاظ عليه، أم أن ثقته في زوجاته أقل من ثقته في باقي النساء؟

الآن فقط بعد أن مررنا بكثرة الفحش والخيانات الزوجية المنتشرة في مجتمع النبوة، يمكننا أن نتفهم هلع محمدٍ من أن تنفلت نساؤه.

وفي سورة الأحزاب أيضًا، وهي بحقٍ السورة الجديرة بحمل لقب (سورة الحياة الجنسية للنبي) نقرأ في الآية 32 تحذيرًا مخيفًا شديد اللهجة موجّهًا لنساء محمدٍ من أن يتّجِهْنَ إلى أي انحراف، وتأمرهنّ الآية بالحشمة وخفض الصوت والتزام المنزل تجنبًا لأي نجاسات أخلاقيةٍ محتملة:

﴿يٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وكما رأينا أن نساء النبي قبل آية الحجاب كُنَّ يَسِرْنَ مكشوفات، ويأكلْنَ مع الرجال... إلخ، فكذلك يخبرنا الطبري في

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

تفسير الآية أن نساء النبي قبل تلك الآية كُن يخرجْنَ في الطرقات مكشوفات الزينة متبرجات، يحركْنَ أجسادهن بإغراءٍ ودلالٍ! فمنعهُنَّ القرآن عن ذلك: «عن قتادة "وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى": أي إذا خرجتُنّ من بيوتكُنّ. قال: كانت لهُنّ مشيةٌ وتكَسُّرٌ وتغَنُّجٌ، يعني بذلك الجاهلية الأولى فنهاهُنّ الله عن ذلك». وقيل: "إن التبرّج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال".

وسببٌ إضافيٌّ لتلك الغيرة النبوية نجدُه في تفسير الجزء الأخير من آية الأحزاب 53، بشأن نهْي الصحابة عن الزواج بزوجات محمدٍ من بعده، حيث نقرأ في التفاسير أنها نزلت في بعض الصحابة الذين قالوا أنه بعد موت محمدٍ فسيتزوجون عائشة.

من القرطبي نقرأ: «عن قتادة أن رجلًا قال: لو قُبض رسول الله صلّ الله عليه وسلم تزوجتُ عائشة، فأنزل الله تعالى: "وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ..." الآية. ونزلت: "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ"»، «وقال ابن عطية: رُوي أنها نزلت بسبب أن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله صلّ الله عليه وسلم لتزوَّجت عائشة، فبلغ ذلك رسول الله صلّ الله عليه وسلم فتأذّى به».
ومن تفسير البغوي للآية «...نزلت في رجلٍ من أصحاب النبي، قال: لئن قُبض رسول الله لأنكحنّ عائشة»، وفي ابن كثير أنها «...نزلت في رجلٍ هَمَّ أن يتزوج بعض نساء النبي بعده».

فمن تلك الآية، تفاسيرها وأسباب نزولها، نرى مثالًا آخر على الانحطاط الأخلاقي في ذلك المجتمع، حيث يطمع الرجال في النساء، والعكس، بشكلٍ طاغٍ لا يعرف لياقةً أو تهذيبًا، والواضح أن نساء النبي أنفسهُنّ غير معفيات، في نظر الله ورسوله، من تلك الأفكار المنحرفة، مما يجعل محمدًا يخفي نساءه عن عيون قومه، مُطلِقًا شرارة البدء للهوس الإسلامي بمحاولة الحفاظ على النساء عن طريق قمعهنّ في المنازل وتغطيتهن بأطنانٍ من القماش، وكأنهُنّ مِلكيةٌ جامدةٌ يجب صيانتها بهذا الشكل البدائي.

سراريه

السراري لغويًّا هو جمع "سرية" وهي الجارية، المرأة المتخذة للتملك ولممارسة الجنس، وهي ما يسميها القرآن "ما ملكت الأيمان" أي تم شراؤه بالمال لغرض الجنس كما أوضحنا. وقد أحلَّ الله لنبيه اتخاذ السراري كما أوضحنا سابقًا في تفسير الآية 50 من سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾... الآية.

وبالإضافة إلى زوجاته الكثيرات، فقد كان بالفعل لمحمدٍ الكثير من النساء اللاتي أَسرهُنّ في الحروب (أفاء الله عليه بهِنّ)،

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

أو اللاتي تلقاهُنّ كهدايا من آخرين، فمن "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب ذكر مارية أم إبراهيم بن رسول الله نجد أن محمدًا كان له أربع سراري (أي جواري يمارس معهن الجنس)، نقرأ: «عن أبي عبيدة قال: كان للنبي أربعة سراري هُن مارية القبطية وريحانة وامرأةٌ جميلةٌ أصابها في سبيٍ وجاريةٌ وهبتْها له زينب بنت جحش».
علمًا بأن بعض زوجات محمدٍ هُن سراري سابقات، البعض حررهُنّ محمدٌ وتزوجهنّ، بينما بقيت الأخريات كجواري. وسنحكي قصص هؤلاء وهؤلاء.

جويرية

جويرية بنت الحارث، من بني المصطلق، أغار المسلمون على قومها وتم قتل زوجها مسافع بن صفوان بن سرح بن مالك على يد محمدٍ وصحابته، كما ورد في "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب جويرية بنت الحارث.

وفي "صحيح البخاري"، 2541: «أن النبي صلّ الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذٍ جويرية».
بعد هزيمة بني المصطلق في غزوة المريسع، تم أسر جويرية ووقعت في نصيب أحد المسلمين، فأرادت أن تدفع له المال لتحرر نفسها، وذهبت تطلب العون المادي من محمد، وهنا عرفَت عائشة أنه سيعجبه جمالها ويستولى عليها لنفسه، وهو ما تحقق بالفعل. ومَن أكثر خبرةً بأخلاق نبي الله من زوجته؟

تحكي عائشة القصة بنفسها، كما ورد في "سيرة ابن هشام"، غزوة بني المصطلق: «عن عائشة قالت: لما قسم النبي سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية في سهم ثابتٍ بن قيس فكاتبته على نفسها، وكانت امرأةً حلوةً ملاحةً لا يراها أحدٌ إلا أخذَت بنفسه، فجاءت إلى النبي تستعينه. قالت عائشة: فوالله ما أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه (النبي) سيرى منها ما رأيت. فقالت أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقعت في سهم ثابت بن قيس فجئتك أستعينك على كتابتي. قال النبي: فهل لك خيرٌ من ذلك؟ قالت: ما هو يا رسول الله؟ قال: اقضي عنك كتابك وأتزوجك. فقالت: نعم يا رسول الله. قال النبي قد فعلت» .

ريحانة

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 2

ريحانة بنت زيد، هي فتاةٌ من بني قريظة، كانت متزوجةً برجلٍ يُدعَى الحكم، ثم حين انتصر المسلمون على اليهود أمر محمدٌ بذبح رجال القبيلة بالكامل، وأرسل النساء والأطفال ليتم بيعهم في سوق العبيد ويشتري بأثمانهم بالمال خيلًا وسلاحًا لرجاله، كما ورد بالتفصيل في "المغازي للواقدي"، باب غزوة بني قريظة، ذكر قسم المغنم وبيعه، و "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب ريحانة بنت زيدٍ، و "السيرة الحلبية"، غزوة بني قريظة و "البداية والنهاية" لابن كثير، فصلٌ في غزوة بني قريظة، بالإضافة إلى كتب الحديث كالبخاري وغيره.

وبعد القتل والسلب والنهب والاستعباد، قرر الرسول أن يصطفي ريحانة لنفسه. وفي "تاريخ اليعقوبي" 2/52، 53، أن النبي «اصطفى من السبي ست عشرة جاريةً، فقسمها على فقراء بني هاشم، وأخذ لنفسه منهن واحدةً، يقال لها: ريحانة».

وتخبرنا الروايات الإسلامية أن محمدًا عرض على ريحانة أن يتزوجها وتحتجب، فرفضت واختارت أن تكون جارية، فيبدو أنها رأت أن حياة العبودية أخف من حياة السجن والحجاب التي يعيش فيها زوجات النبي "الحرائر".

أحاديث رجل الكهف

The Caveman Talks

قناة «أحاديث رجل الكهف» على اليوتيوب تهدف إلى مساعدة الشباب الناطق بالعربية، التائه في بحرٍ من الثقافة الاستهلاكية على بناء عقليةٍ نقديةٍ مثقفة عقلانيةٍ مستقلة، ومحاولة تبسيط العلوم والبحث في مختلف أنساق المعرفة الإنسانية.

عسى أن يكون هذا الجهد بمثابة إنارة شمعةٍ في ظلمات الجهل الثقافي الذي يعيش فيه الشارع الناطق بالعربية

مجلة توثيقية علمية إلحادية

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine

https://www.aamagazine.blogspot.com

https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299

https://issuu.com/928738

حصانة المقدّس
دينٌ مقدّس

عباس عبّود

تقديم

المقدسات أشياءٌ لها مكانةٌ عظيمةٌ لدى الإنسان، ولكن يجب أن يعلم الجميع أنّ لا حصانة لشيءٍ أمام النقد الموضوعي, ولا قيمة لشيءٍ إلا القيمة الواقعية، ولا شيء يصمد أمام العقلانية.

عباس عبّود

الجزء الثاني دين مقدس

الأديان بدأت كوسيلةٍ لإصلاح عامٍ للمجتمع، وانتهت كدستورٍ خاصٍ يكرّس العنصرية، أديانٌ وشرائع، كهنةٌ وأنبياء، والكثير من الأدعياء، قوانينٌ سماوية، وفلسفاتٌ تتخبط بين غرابة الواقع وفضاءات الجنون، حروبٌ ودماءٌ واستبدادٌ وتضحياتٌ وأخلاقٌ ومُثلٌ ومثاليات.

إنها الأديان، إنها مجموعة الطروحات الفوقية الأكثر حضورًا في فكر الإنسان منذ القدم، فإذا كانت هناك الوانٌ للأفكار، فإن لون الدين، بلا أدنى شك، هو اللون السائد في حياة الإنسان، إنها عوالم تجمع بين فلسفة المعبود وتعاليمه، وبالتأكيد هي نتاجاتٌ لواقعٍ معينٍ بتراكماتٍ معينة، إن الإنسان تعلّق بالدِين إلى درجةٍ جعلته ربما يحتمل الاختلاف في كل شيءٍ إلا في هذا الدين، حيث يتسيّد مقياس الدين على المقاييس كلها.

آلاف الطروحات، بسيطةٌ ومعقدة، أتباعٌ قليلون، ومرةً أخرى كثيرون، وتواريخ كبيرةٌ تحكي قصصًا عظيمةً عن هذا السلطان العظيم.

ولكن رغم الامتدادات الزمنية والتراثية والفكرية للأديان، وبكل تراكماتها، فقد ظلت الأديان بكل أشكالها عاجزةً عن ترويض مارِد الواقع الجبار وإدخاله في مصباح الدين، وظلت الأديان في الكثير من الأحيان مجموعة أفكارٍ طوباوية، وظل الواقع شخصًا متمردًا على قوانينها، في أغلب الأحيان. ويُنسب الخلل كالعادة إلى الواقع، ولا يُنسب إلى النظرية، فأصحاب الدين هنا ينسبون فشل شرائعهم عمليًا إلى الإنسان والشيطان دائمًا، ويعدون بتجسيد هذه النظريات وتحقيق الانتصار النهائي على الواقع، ولكن ليس في هذه الحياة، إنما في حياةٍ أخرى، في السماء.

نشأة الأديان

نقصد بالدين هنا مجموعة الطقوس والشرائع والأيديولوجيات المتعلقة بالمعبود، وما دامت متعلقةً بالمعبود، فهي إذًا تختلف مع اختلافه عبر الأزمنة والأمكنة، فكما أن التأليه بدأ بتقديس أشياءٍ معينة، فإن المعنى البسيط للدين بدأ في تلك المرحلة على شكل طقوسٍ هي بمثابة لغةٍ للتعامل مع الأشياء المقدّسة هذه، وبالطبع أفرزت هذه التجربة أشخاصًا لديهم رغبةٌ أكبر من غيرهم في التفاعل معها، وتكريس وقتٍ أكبر لها وجمع معلوماتٍ أكثر عنها من تراكماتها في المجتمع، وهؤلاء الأشخاص أصبحوا بمثابة مراجع حول هذه المقدسات، وفي الحقيقة إن هؤلاء الأشخاص يمثّلون الجيل الأول من الأنبياء، حسب المعنى العام للنبوة، وهو (افتراضًا) اتصال شخصٍ معينٍ بطريقةٍ معينةٍ بالمقدّس أو المعبود. وبعد تطور صورة المقدس أو المعبود ودخول الآلهة إلى الحلبة تطورت الطقوس وخُصصت لها أمكنةً معينةً، وبالطبع

عباس عبّود

احتاج الناس هنا إلى مترجمين(مفترضين) للغة الآلهة، وهؤلاء بمثابة حلقة الوصل بين البشر والآلهة، وهؤلاء هم (الكهنة)، الذين يمكن اعتبارهم الجيل الثاني من الأنبياء.

بعد ظهور فكرة (الله) ظهر الجيل الثالث والأخير من الأنبياء الذين يؤمنون بإلهٍ واحدٍ (وبصورٍ ربما تكون متعددةً)، وهؤلاء قادوا ثورةً حقيقيةً على أفكار الجيل الثاني من الأنبياء(الكهنة) امتدت لعصورٍ طويلة، علما بأن هذا التطور في مفهوم (الله) بالإضافة إلى ظهور المركزية في العلاقة معه(عن طريق النبي)، كل هذا أدّى إلى انتقال الدين من مرحلة الطقوس المجردة، إلى مرحلة الشرائع. وهنا أصبح (الله) أكثر تدخلًا في حياة الإنسان وواقعه وسلوكه، عن طريق هذه الشرائع التي أتى بها الأنبياء، إلا أن الطقوس لم تنقرض تمامًا، وإنما أصبحت متلونةً بلون الدين الجديد، وأصبحت كذلك أكثر تنظيمًا وأكثر حضورًا إلى الدرجة التي أصبحت معها فرضًا في كثيرٍ من الأحيان. أما دُور العبادة، فهي أيضًا ارتدت ثوبًا جديدًا، يتناسب مع الجسد الجديد للدين.

بعد تطور الفكر البشري وانتقاله من مرحلة العلم التجريبي المباشر إلى مرحلة التنظير، وبعد ولادة أجيالٍ مميزةٍ من المتفلسفين، وبعد أن بدأت تترسخ الشمولية في التفكير وبعد أن أصبح الإنسان أكثر عمقًا في نظرته للواقع، بعد هذا كله كان من الطبيعي أن يتفاعل الدين مع كل هذه المتغيرات، والنتيجة أن الدين تطور ودخل مرحلة الأيديولوجية، حيث اقترن بطروحاتٍ فلسفيةٍ وأخلاقيةٍ وجدلية، بل وأحيانًا حتى علمية، وهذا الطرح الأخير هو أنضج ما طرح الدين.

إن هذا التوضيح (المختصر جدًا) لنشأة وتطور الأديان لا يعني بالضرورة أن عملية التطور كانت تسير بانتظامٍ دائمًا في كل الأزمنة والمجتمعات، وبانتقالٍ مرحليٍّ منتظمٍ وواضحٍ جدًا، وإنما كانت عملية التطور منتظمةً بشكلٍ عام، والمراحل العامة للتطور يمكن تتبعها بيسرٍ على نحو العموم فقط، لكن هناك أديانًا كثيرةً شذّت عن هذا التسلسل العام للتطور، إذ أن هناك أديانًا تقوقعت وتجمدت وهناك أديانًا استمرت طويلًا (بإطارها العام)، وهناك أديانًا انقرضت تمامًا، بل إن هناك دياناتٍ بسيطةً جدًا وتنتمي إلى نمط أديان العصور القديمة، ولكنها تُعتنق اليوم. أيْ، هناك تداخلٌ كبيرٌ لا يمكن إغفاله بين مراحل تطور الأديان عبر التأريخ، رغم الانتقال المرحلي العام الواضح لها.

عباس عبّود

الأنبياء

إن التجربة الإنسانية الطويلة والعميقة مع الدين بكل أطيافه ومراحله، قدمت الكثير من البشر ممن يدّعون الاتصال بالمعبود أو المقدس، فمنهم من ادّعى الاتصال بالآلهة بكل أشكالها، ومنهم من ادّعى الاتصال ب(الله)، حسب الفكرة الحديثة (لله)، ومنهم من ادّعى الاتصال بقدَيسين، أيْ عندهم اتصالٌ غير مباشرٍ بالمعبود.
والحقيقة أن هذه الادّعاءات هي إفرازاتٌ طبيعيةٌ لتفاعل الأديان مع الناس ورغباتهم وطباعهم، وكذلك نتيجةٌ طبيعيةٌ لبحثهم الدائم عن وسائل للاتصال بالمعبود والمقدّس، ولا زال إلى اليوم يظهر أمثال هؤلاء. من المؤكد أن قِسمًا كبيرًا من هؤلاء الأدعياء كذّابون، وهذا الأمر لا يخفى على أحد.

إن ما يهمني ليس هؤلاء الكذّابون، وإنما قسمٌ آخر لا نستطيع أن نقول عنه إنه (كذّاب)، لأن الكذّاب إنما يكذب طلبًا للمنفعة، أمّا من ينذر نفسه لقضيةٍ معينةٍ ويخلص لها ويعاني أقسى أنواع الأذى في سبيلها، فهو إنسانٌ لا نستطيع أن نصفه إلا بأنه إنسانٌ مبدئي، بِغض النظر عن صواب أو إيجابية قضيّته. نحن لا نقول بأن هؤلاء على صواب، لأن لا إله هناك حتّى يتصلوا به، ولكن كل ما في الأمر أن هؤلاء الأشخاص قد استحوذت عليهم بالكامل فكرة الإصلاح وخدمة المجتمع، وكان من الطبيعي أن تتفاعل هذه الرغبة مع التراكمات العامة للدين في المجتمع بعمقها الكبير وكذلك بعمق فكرة (الله) الجذّابة في النفوس، ونتيجة هذا التفاعل هي تهيّؤاتٌ ورؤًى في اليقظة تستحوذ على هؤلاء الأشخاص بكيفياتٍ مختلفةٍ وبأطرٍ واحدة، وقد يساعد على هذا امتلاك البعض من هؤلاء الأشخاص لمواهب باراسيكولوجية وخصائص روحية. ثم وبمرور الوقت وتفاعل التجربة، تأخذ الحالة أبعادًا اجتماعيةً متناميةً، حسب الشخص المدّعي للنبوة والاتصال، وحسب طبيعة طرحه، وحسب الظرف الاجتماعي والسياسي، والى آخر العوامل المحيطة. وهكذا إمّا أن تندثر الحالة، أو تكبر وتصبح قضيةً ومبدأً ودينًا محليًّا، والذي يمكن أن يكبر ويصبح عقيدةً عامةً تخترق مجتمعاتٍ كثيرةً، وكل هذا يُحدَّد بواسطة معادلة الظروف والواقع.

إن المجتمعات (وتحديدًا المسحوقة منها) دائمًا في حالة عطشٍ شديدٍ إلى أملٍ جديدٍ وواقعٍ جديدٍ ربما يحمل تباشير التغيير الإيجابي المرتقب دائمًا، وهذه المجتمعات في حالة عطشٍ دائمٍ أيضًا إلى جرعةٍ روحيةٍ تحس معها هذه المجتمعات بوجودها، وأيضًا هي بحاجةٍ إلى عاقبةٍ حسنةٍ لحياتها المريرة (ولو في الجنة)، بالإضافة إلى العطش المزمن للاتصال بذاتٍ مقدسةٍ عظيمة. وهذه كلها عوامل أساسيةٌ ساعدت في تقبّل الأنبياء في المجتمع.

عباس عبّود

أيْ أن أنبياءً وأصحاب دياناتٍ كثيرة، مثل عيسى وموسى ومحمد، وغيرهم، ليسوا كذّابين أو مجانين، وإنما هم عبارةٌ عن نمطٍ خاصٍ من المصلحين (بِغض النظر عن إيجابية أو سلبية طرحهم) تلونوا بلونٍ شخصيٍ معيّن، وبلون مجتمعهم، وبلون الواقع بكل تراكماته وتطلعاته.

جدليّة الدين

يحاول معتقدو كل فكرةٍ أن يسوّقوا استدلالاتٍ عقليةً معينةً في محاولةٍ لإثبات صحّة عقيدتهم، ومن هذا المنطلق يقدّم أصحاب الأديان استدلالاتٍ عقليةً معينةً، لإثبات سلامة دينهم وصحّة مذهبهم، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث أنهم ادّعوا بأن عقائدهم واجبٌ على كل إنسانٍ اعتناقها، وحاولوا أن يسوقوا الأدلّة لإثبات هذا الإلزام.

والحقيقة إن فكرة (الله) هي أساس كل الأديان، وأوضحنا سابقًا، وأوضح الكثيرون، أن هذه الفكرة مبهمةٌ ومرتبكةٌ ومتناقضة، وهذا واضحٌ لكل شخصٍ موضوعيٍ راغبٍ بالحقيقة لذاتها. لذلك نجد أن الأديان كمذهبٍ عقليٍ تعاني من ضعف الأسس، وانعدام الربط الواضح بين (الله) على افتراض ثبوت وجوده، وبين الدين كأيديولوجية مطروحة.

وبصورةٍ عامةٍ هناك استدلالٌ عند كثيرٍ من أهل الدين، يسوقونه في محاولةٍ لإثبات صحة دينهم، بل وجوب اعتناقه من قِبل كل البشر ودون أي اجتزاء. وهذا الاستدلال مفاده، أن لكل نبيٍّ معجزة، وهذه المعجزة هي دليلٌ على اتصال صاحبها (النبي) بالله، وأنه مرسلٌ من قِبله، وما دام كذلك فاتّباعه واجب.

إن أقل ما يقال عن هذا الاستدلال، إنه ضعيفٌ جدًا، على الرغم من أنه أفضل ما عندهم، كدليلٍ جدلي. فلو افترضنا جدلًا أن ما أتى به النبي (المفترَض)، لا يستطيع أي شخصٍ آخر الإتيان بمثله، فإن هذا لا يدل (عقليًا) إلا على أن هذا الشخص (النبي المفترض) قد انفرد بميزةٍ أو موهبةٍ عن بقية البشر، ولا علاقة لهذا الأمر ب(الله)، من ناحية الربط العقلي، أيْ لا يوجد ربطٌ استدلاليٌ بين امتلاك الموهبة، والاتصال ب(الله)، لا بالتلازم ولا بالضرورة. أي أنه استدلالٌ قائمٌ على عملية ربطٍ باطلةٍ بشكلٍ سافر.

عباس عبّود

ولو أن كل صاحب موهبةٍ فريدةٍ يحق له الادّعاء بالنبوة لكان كل شخصٍ مسجلٍ في كتاب (غينيس) للأرقام القياسية من حقّه أن يدّعي النبوّة. ثم أن هناك أشخاصًا في كل مكانٍ وزمانٍ يمتلكون مواهب فريدةً وعظيمةً، وقسمٌ منها غريبٌ جدًا، ومن أراد الاستزادة فعليه دراسة علم الباراسيكولوجي، مع الإشارة إلى أن هناك حالاتٍ كثيرةً خارقةً موثقةً مخبريًا ولا مجال لإنكارها.

في الحقيقة هناك جذورٌ قديمةٌ لهذا الاستدلال في المجتمع البشري، حيث كان الناس يظنون -لبساطتهم- أن كل ما هو خارقٌ أو غريبٌ أو عظيمٌ له علاقةٌ ب(الآلهة) بشكلٍ أو بآخر.

يجب أن نشير هنا إلى أن عدم ثبوت الدين ككل عقليًا على أنه دستورٌ شاملٌ للإنسان، لا يعني أن كل مفردات الدين خاطئة، لأن هناك مفرداتٍ كثيرةً في الطرح الديني، تتطابق مع المنهج السلوكي المنطقي السليم للإنسان، وهذه واجبةٌ على عامة الناس من باب العقلانية فقط.

كما يجب أن نشير إلى ملاحظةٍ مهمة، وهي أن معتنقي الأديان، إنما يعتنقونها بالتقليد والوراثة في غالبيتهم الساحقة، فكم نسبة الذين يبحثون عن حقيقة دينهم عقليًا من بين هؤلاء، وهؤلاء الباحثون إن وُجدوا، كم منهم يبحث لأجل الحقيقة بعينها، وكم منهم يبحث لأجل إثبات صحّة دينه، وليس للتأكد من صحته.

الجنّة والنار

إن فكرة الجنة والنار جزءٌ مهمٌ من أجزاء النظرية الدينية، وهي أيضًا جزءٌ مهمٌ من التراث البشري العام، فقد حلم الإنسان منذ آلاف السنين بالخلود والنعيم في عالمٍ مطلق السعادة، وفكرة (الجنّة) خير تجسيدٍ لهذا الحلم القديم، ورغب الإنسان وبشدّة في معاقبة المسيئين في هذه الحياة، ولكن في أحيانٍ كثيرةٍ يفلت المسيء من العقاب ويعجز المجتمع عن معاقبته، ولذلك تعتبر (النار) خير تجسيد أيضًا لهذه الرغبة القديمة. إن الأديان جزءٌ من الواقع البشري، ووليدةٌ من رحم تراثه العميق، لذلك من الطبيعي أن نجد مثل هذه الرغبات(الأفكار) وقد أخذت حيّزًا واضحًا في الطرح الديني.

وفي الحقيقة قد وجدت الأديان في هذه الفكرة(الحلم) مخرجًا حقيقيًا لإشكالاتٍ فلسفيةٍ تتعلق بعدالة (الله)، فصورة الواقع لا تحقق هذه العدالة، فهو مليءٌ بالظلم والمعاناة، ولا توجد فيه مكافئةٌ مقبولةٌ للمحسن، ولا عقابٌ كافٍ للمسيء، لذلك وجد أهل الدين في فكرة (الجنة والنار) ساحةً مؤجلةً لتحقيق العدالة الإلهية المطلقة الموعودة.

إن خضرة الجنّة وطيورها وحورياتها، كانت لآلاف السنين الماضية، وربما اللاحقة، واحةٌ خياليةٌ يدخلها الناس، وخصوصًا المحرومون، من الرجال والنساء، وهذه نقطةٌ إيجابيةٌ تُحسب للدين، حيث كانت الكثير من الهموم والمآسي تُخفف بإكسير أمل (الحياة الأخرى).

ويجب أن نعلم هنا أن هذه الجنة لا يدخلها الجميع، بل فقط من آمن بدينٍ معيّنٍ وبمذهبٍ محددٍ من هذا الدين، ليس هذا فحسب، بل يجب أن يُطبِّق تعاليم الدين والمذهب بحذافيرها عمليًا. وهنا يشعر الفرد المتديّن بالسرور، لأن كل من يعتقد بعقيدةٍ غير عقيدته يبقى يتقلّب في النار ويذوق فيها أقسى أنواع التعذيب والامتهان.

حتّى أن المسيء والمجرم يذوق هذا العذاب، ولكن بدرجةٍ أهون ولفترةٍ محدودة، حيث أنه ينتقل بعدها إلى الجنّة، وفقط إذا كان في الدنيا يؤمن بالدين (الصحيح). وهنا نجد العنصرية قد رافقت الإنسان حتّى في خيالاته، وانتقلت معه حتّى إلى السماء. ما أقسى الواقع، وما أترف الخيال.

المزدري

الثمن الذي دفعته لتركي الإسلام

وليد الحسيني

الكتاب وثيقة مهمة يروي فيها وليد الحسيني قصة المعاناة التي مر بها من جراء تركه للإسلام وجهره بذلك، بدءًا من تساؤلات نمر بها كلنا إلى نقده الساخر للدين، فسجنه وتعرضه **للتعذيب وانتهاء بلجوئه إلى** فرنسا حيث لا زال يعمل بدأب في مشروعه الفكري.

ظهر كتابه «المزدري» بالفرنسية تحت عنوان Blasphémateur ومؤخرًا تمت ترجمته إلى الإنجليزية بعنوان Blasphemer، وهو مترجمٌ أيضًا إلى البولندية والدنماركية. النسخة الإنجليزية موجودة **على متجر أمازون**

Amazon.com

عباس عبّود

الشيطان

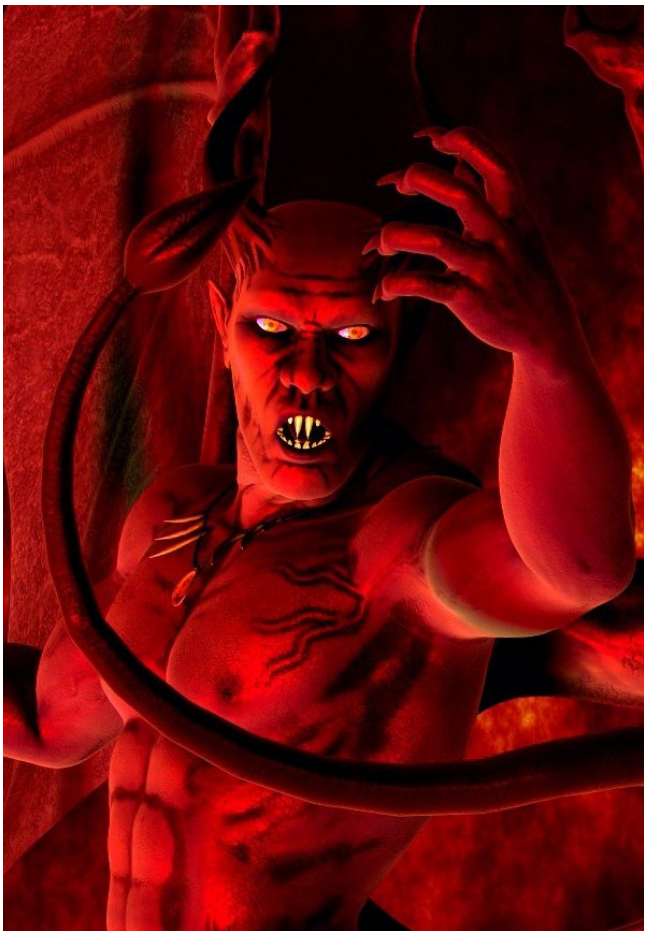

من هو الشيطان؟ أين الشيطان؟ كيف يؤثر الشيطان على الناس؟ أسئلةٌ وأسئلةٌ كثيرةٌ عن هذا الشيء، وكالعادة لا أجوبة، فلا أحد يستطيع أن يعلم، وسوف لن يستطيع أي أحدٍ أن يعلم، إنه علامات استفهام محضة، كما هو الحال مع (الله)، وكأن هذه الذات المفترضة صُممت لكي تكون مجهولةً.

الشر جزءٌ من الواقع البشري منذ وجد، وقد آمن الإنسان منذ القدم بوجود قوًى شريرةٍ عظيمة، هي بمثابة المصدر والمحرك للشر، وامتزجت هذه الأفكار بالعقائد الدينية منذ بداياتها الأولى، فتلونت بلون العقائد الدينية للشعوب. وفي الحقيقة إن فكرة القوى الشريرة بمثابة لُقيا ثمينةٍ بالنسبة للأديان في مراحلها الأيديولوجية المتأخرة، لأنها تمثل لهم مخرجًا لإشكاليّة الشر في الواقع ومصدره، فإذا كان (الله) مصدر الخير المطلق، فمن هو مصدر الشر.

وهنا أمسك أصحاب الدين بفكرة القوى الشريرة وجمعوا الشر بذاتٍ واحدة، وهي ذات الشيطان، وعُلِّق الشر كلّه في الواقع على شمّاعة هذا (الشيطان). وبهذا أصبح الله نقيًّا وبريئًا من الشر، وكأن هذا (الشيطان) مستقلًا عن الله ومتمردًا عليه، حتى أنه يفعل ما يحلو له، رغمًا عن أنف الله.

إن أهل الدين وجدوا أيضًا في الشيطان عذرًا مناسبًا لكي يبرئوا أنفسهم من ذنوبهم، فهم يقولون إننا مؤمنون، ولكن الشيطان اللعين هو الذي أغوانا ولولاه ما كنّا أذنبنا، وهنا أيضًا يُلقى باللائمة والذنب والمسؤولية على رأس هذا (الشيطان) المسكين.

لا يوجد شيطانٌ في الواقع، ولكن يوجد إنسانٌ في أحيانٍ كثيرةٍ هو بمثابة شيطان، ولا يوجد ملاكٌ في الوجود، ولكن عديدًا من البشر هم خير مصداقٍ للملاك. الأرض هي الجنّة، إذا كان الناس ملائكةً، كما أن الأرض هي الجحيم، إذا كان الناس شياطين.

كفانا لعنًا للشيطان وإغوائه للإنسان، ولنلعن كثيرًا من شياطين الإنس، ونحاربهم بسلاح الواقع، وليس بأجنحة الخيال.

عباس عبّود

الأديان في الميزان

لا شك أن للأديان حضورًا قويًا جدًّا في المجتمع البشري منذ القِدم، وما دامت كذلك فإن لها بالنتيجة تأثيرٌ خطيرٌ على مفاصل المجتمع المهمة، ونقصد بالمفاصل هنا، الأطر التي تتحكم في سلوك الإنسان وطريقة تفكيره، والضوابط التي تحدد علاقته بالآخرين، فهذه المفاصل هي الأهم في واقع الإنسان على الإطلاق. لذلك كله، علينا أن نحدد تأثير الدين عليها من مقياس السلبية والإيجابية، نسبةً لمصلحة الإنسان عمومًا، على اختلاف عقيدته وتقليده وعرقه.

في الحقيقة، يجب ألّا نعتمد على الصورة التي يسوّقها أهل الدين عنه، إذا أردنا تقييم الدين، لأن هذه الصورة تأتي مجمّلةً في أحيانٍ كثيرة، بل يتوجب علينا الاعتماد على الطرح الديني النظري، وكذلك عمقه العملي في نفوس وسلوك معتنقيه، أي، ننظر إلى الدين كمنظومةٍ تشمل النظرية، وكذلك الواقع الذي نتج عن تفاعل النظرية مع الإنسان المؤمن بها وواقعه، ولا نقيس على النظرية فقط، لأن واقع أهل الدين حجّةٌ على الدين، حتّى مع عدم وجود نصوصٍ نظريةٍ تؤيد هذا الواقع بشكلٍ مباشر، وهذا فقط في حال انفراد معظم أهل الدين بواقعٍ مميزٍ عن بقية الأديان، لأن هذا الواقع سيكون نتاجًا مؤكدًا ولكنه غير مباشرٍ للنظرية الدينية، وفي حالة عدم الانفراد لا يُعدّ الدين مسؤولًا.

يجب أن نلاحظ، أن عمليّة تقييم الأديان هنا تتعامل مع عمومياتٍ مشتركةٍ بين الأديان، وخصوصًا الأديان التي تطرح شرائع معيّنةً، ويجب أن نلاحظ أيضًا، أن الأديان والمذاهب متفاوتةٌ في حضورها الاجتماعي، ومتفاوتةٌ في سلبيتها وإيجابيتها العامة، ومتفاوتةٌ أيضًا في مقدار السلب والإيجاب.

لأجل تقييم الأديان من خلال هذا المنظار، سنسلط الضوء وباختصار، ولكن بتركيز، على أربع نقاطٍ أساسيّة، نرى أنها محدِّدةٌ لملامح المجتمع قديمًا وحديثًا، ونحدد سلبية أو إيجابية الدين لكلٍّ منها، علما بأنها ليست كل السلبيات ولا كل الإيجابيات، ولكنها الأهم والأشمل.

يمكننا اعتبار هذه النقاط (المقاييس العامّة لتأثير الدين في المجتمع). كما أن هذه النقاط لا تتضمن خوضًا تفصيليًا، أو سردًا واسعًا للأمثلة، لأنها مقياسٌ استقرائيٌ عامٌ فقط. وهذه النقاط هي:

عباس عبّود

1: الثوابت الأخلاقيّة العامّة.
2: التفكير في الدين ومرجعيته.
3: التشريع الديني والواقع.
4: التعامل مع الآخرين ومقاييس تقييمهم.

هناك ملاحظتان مهمتان فيما يتعلق بهذا الموضوع:

الأولى: إننا نتناول هنا عموميات مشتركةً بين الأديان بصورةٍ عامة، وهذه العموميات هي مفاصل المسألة، ومن يريد التخصيصات والأمثلة فهي موجودةٌ للباحث في التراث المطبوع للأديان، والأمر أصبح أسهل وأيسر مع وجود شبكة الإنترنت بمعلوماتها الهائلة وطرائق الوصول السهلة والسريعة فيها للمعلومة.

الثانية: هناك اختلافاتٌ وتناقضاتٌ كبيرةٌ وكثيرةٌ في تراث الأديان، بل هي موجودةٌ في تراث الدين الواحد والمذهب الواحد أيضًا، وحتى النصوص المتفق عليها هناك اختلافٌ كبيرٌ في تفسيرها يصل إلى حد التناقض. كما أنه لا يوجد اتساقٌ في أجزاء النظرية الدينية، وهذا يتضح من خلال مناقضة بعض الأجزاء لأجزاءٍ أخرى من النظرية في مضمون الأحكام والرواية التاريخيّة، أيْ، هناك حضورٌ واضحٌ للارتجال في الطرح وغيابٌ واضحٌ للاتساق العام المفترض حضوره في كل نظريّة.

الثوابت الأخلاقيّة العامّة

الصدق، النزاهة، الإيثار، العون، الأمانة، وغيرها من الثوابت الأخلاقيّة العامّة، تعتبر خطًا دفاعيًّا حصينًا للمجتمع البشري تمنع وصوله إلى هاوية الفساد التام والانهيار التام في كل الأزمنة، وصدقًا نقول قد ركّزت الأديان (عمومًا) على هذه الثوابت الإيجابية ورسخّتها وفعّلتها في المجتمع، وهذه نقطةٌ إيجابيّةٌ كبيرةٌ تُحسب للأديان، مع الإشارة إلى أن هذه الثوابت لم تأتِ بها الأديان، وإنما هي متجذرةٌ في المجتمع البشري منذ القدم، بل إن من أهم ركائز وأسس اعتناق الناس للأديان، هو تركيز الدين على هذه الثوابت، وإلى حد الفرض والوجوب في أحيانٍ كثيرة، ولذلك استحسن الناس الدين وأحبّوه واعتنقوه. إن حبّ الناس للأخلاق العامة (عمومًا) يسبق الدين، ولكن الأديان، وخصوصًا المتطور منها، نظّمت هذه الثوابت وفعّلتها أكثر، وجعلتها ضمن النظرية الدينية ككل، ومتناسقةً مع الطرح الأيديولوجي الشامل للدين.
إن الأخلاقيات الدينية ملأت فراغاتٍ مهمةً في تأريخ المجتمع البشري، ولعبت دورًا إيجابيًا لا يُنكر، وتُشكر عليه، في أوقاتٍ سادت فيه الهمجية والفوضى مجتمعاتٍ عدّةً في تأريخ الإنسان، وكانت هذه الأديان، رغم سلبياتها، أهون من غيرها من الأعراف السائدة.

عباس عبّود

التفكير في الدين ومرجعيته

التفكير هو ميزة الإنسان الأولى وسلاحه الأقوى الذي سيّده على هذا العالم، لذلك فإن له الأولوية في واقع الإنسان، ولكي يكون التفكير مؤدّيًا إلى فكرٍ إيجابي، يتوجب أن تكون وجهة التفكير واضحةً وعقلانيةً، وأدوات التفكير صحيحةً.

إن المقياس الأساسي والإطار الأشمل للتفكير هو العقل المجرد، فما يقبله عقل الإنسان نظريًّا، ويحس به عمليًا، هو المقياس الأول والأخير. وهنا بيت القصيد، فالأديان تُعتبر سلبيةً في هذه النقطة المهمة، لأنها تعتبر رأي الدين هو المقياس، صحيحٌ أنها تعطي حريّةً للتفكير، ولكن هذه الحريّة ضمن أطر الدين فقط، وفي هذه الحالة لا تعتبر الموضوعيّة العلميّة هي المقياس، وهذا بالتأكيد يحجّم دور التفكير، بل يضطهده في أحيانٍ كثيرة. مثلًا عندما ذاع صيت نظرية داروين في علم الأحياء، وتحديدًا أصل الأنواع، ثارت ثورةٌ عظيمةٌ عليها ومن قِبل كل الأديان تقريبًا، وهذه الثورة لم تكن مدفوعةً بأسبابٍ علميةٍ موضوعيّة، وإنما فقط لأن الأديان تقول بالخَلق المباشر، وهذا ما تنفيه النظرية، فوصل الأمر إلى تحريم دراسة المناهج الدراسية التي تتضمن هذه النظرية، بل تكفير من آمن بها.

إن الأمثلة متعددةٌ وكثيرةٌ على هذا الموقف الديني، مثل محاربة القول بكروية الأرض، وغيرها من الأمثلة التي تدور كلها في فَلكٍ واحد، وهو محاربة، وليس مخالفة، نتائج علميّةٍ معيّنة، فقط لأنها تتناقض مع الطرح الديني، في حين أن ما يتوصل إليه العقل، وما يقود إليه الدليل، هو ما يجب أن يؤخذ به، وفي كافّة مجالات الحياة. إن وضع أي إطارٍ للعقل هو ظلمٌ للعلم وإجحافٌ بحق العقل وقتلٌ للإبداع، وأن الدليل العلمي الموضوعي هو المرجع الوحيد دائمًا، وإن وضع أي خطٍ أحمر عبارةٌ عن الحرمة والعقاب على أي نتيجةٍ علميةٍ قد تختلف مع الطرح الديني، هو نوعٌ من أنواع الاستبداد الفكري. فكيف تريد من الإنسان أن يفكر بموضوعيّة مثلًا في مسألة وجود الله، وذاكرته مليئةٌ بالتهديد بالنار في الآخرة، وربما القتل في الدنيا، إذا اقتنع بعد تفكيره بأن الله غير موجود. بل إن عدم الموضوعيّة عند الدين وأهله في التفكير، ينسحب إلى مجمل مجالات الحياة، ولذلك نجد تخبطٌ واضحٌ في السلوك والقرار والموقف، من الحياة اليوميّة والتصرف الشخصي والعائلي، وصولًا إلى القرار السياسي بكل خطورته، وهذا كله لأن المتدينين لا يزِنون الأمور بمعيار الموضوعية والتأثير الواقعي، وإنما بمعيار تعاليم الدين فقط.

من المهم أن نشير هنا إلى وجود مساحاتٍ كبيرةٍ في تراث كل الأديان تقريبًا، مليئةً بالخرافات والأساطير، وهذه ألقت بضلالٍ خطيرةٍ على واقع الإنسان وطريقة تفكيره وتعامله مع مفردات الواقع.
من المؤسف أن هناك امتدادٌ آخر خطيرٌ جدًّا في الأديان متعلقٌ أيضًا بمسألة المرجعية في التفكير، وهو إيجاد مرجعيّةٍ شخصيّةٍ مطلَقةٍ للعقول، وهذه الشخصيّة (المرجع) هي التي تفكر بالنيابة عن أهل الدين، وهذا ما يندرج تحت عنوان (التفكير بالنيابة). إن الإشكال ليس في المرجعيّة كمبدأ، وإنما في تقديس المرجع بشكلٍ أعمَى واعتباره مقياسًا وحيدًا غير قابلٍ للخطأ أو التشكيك، ورأيه يُعتبر أمرًا يؤخذ كاملًا بدون نقاشٍ أو اجتزاء.

عباس عبّود

إن هذه النقطة الخطيرة الأخيرة، قادت المجتمع إلى كوارث عبر التأريخ، وحتّى في يومنا الحاضر، حيث يتحكم شخصٌ ما، ربما يكون مجنونًا أو مريضًا أو حاقدًا، بعقول ملايين الناس، ويقودهم بالتالي ويقود المجتمع إلى مآسٍ عظيمة، بل إن قسمًا من هؤلاء الأشخاص مريض، يأتي أتباعه بأوامر غريبةٍ وربما كارثيّة، ويدّعي أنها أوامر صادرةٌ من الله أو من روح قدّيسٍ ما.

التشريع الديني والواقع

لا شك أن قسمًا كبيرًا من التشريعات الدينية يتعلق بواقع الإنسان الحياتي حيث يتصدى لتعاملات وسلوك هذا الإنسان، وهذه التشريعات تعتمد ترسيخ الأخلاق العامة، فتفرض عقوبات (دنيويةٍ أو آخروية) على المخالف وكذلك تشجع الملتزم بهذه المبادئ، وهذه عمومًا نقطةٌ إيجابيةٌ كما ذكرنا سابقًا. إن هذه الأحكام التي انطلقت من منطلقٍ أخلاقيٍ مفترضٍ تهدف إلى تحقيق سعادة وأمن المجتمع في إطارها العام، أي أن واقع الإنسان هو غايتها المعلنة، ولكن هذه الأحكام جاءت بمردودٍ عكسيٍّ في أحيانٍ كثيرة، وأسباب ذلك متعددةٌ وأهمها:

أولًا: إن مفهوم الأخلاق الذي تبنته هذه التشريعات هو مزيجٌ من الثوابت الأخلاقية العامة المتفق عليها في كل زمانٍ ومكان (الصدق، البر، المسالمة،...إلخ) ممزوجةً مع العرف الاجتماعي (سلبيٍّ أو إيجابي)، والذي يُعتبر في الكثير من الأحيان (خطأً) جزءًا من مفهوم الأخلاق، ولذلك جاءت هذه التشريعات، وفي أحيانٍ كثيرةٍ بملامح محليّةٍ وفئويةٍ واضحةٍ تخص مجتمعًا ما وذات معالم ظرفيةٍ تحاكي ظرفًا محددًا ما. أي أنها أحكامٌ تتلاءم مع مجتمعٍ محددٍ في زمنٍ محددٍ بعُرفٍ محددٍ ولا تتلاءم مع كل الأزمنة وكل المجتمعات ومع كل الأعراف، فقد يكون أمرٌ ما مباحًا وعاديًا وإيجابيًّا في ظرفٍ ما وزمنٍ ما ومجتمعٍ ما، وقد يكون نفس الأمر عكس ذلك في زمنٍ أو مجتمعٍ أو ظرفٍ آخر، ناهيك طبعًا عن التشريعات السلبية بالمقاييس العامة المنبثقة من أعرافٍ سلبيةٍ أساسًا.

ثانيًا: حرّمت الكثير من الأديان الكثير من الأمور بناءً على وجود سلبيةٍ معينةٍ في ذلك الأمر، بينما قد تكون هناك إيجابياتٌ أكثر لمثل هذا الأمر فتكون محصلته إيجابيةً، أي تنظر لكثيرٍ من الأمور بعينٍ مجتزأة، ومثال على ذلك (الربا)، الذي حرّمته بعض الأديان، فعلى الرغم أن فيه سلبيةً واضحةً تتعلق بالاستغلالية، إلا أن هناك فوائد عديدةً لا تُنكر، حيث يساعد الناس في أغلب الأحيان على تجاوز احتياجاتٍ ماليةٍ ظرفيةٍ كثيرة، وتحريمه أو منعه يحرم الكثيرين من فوائده ويضعهم في أزمة الحاجة حيث يعانون من قلة المعين، خصوصًا وأننا لم ولن نعيش في مجتمعٍ ملائكي، أي أن المحتاج للمال يقع بين مطرقة الحاجة وسندان الدِين الذي يحرّم الاقتراض المشروط بالفائدة.

عباس عبّود

ثالثًا: حتى لو كانت محصلة أمرٍ ما سلبيةً وتأكدنا من أن سلبياته أكثر من إيجابياته فإننا لا نستطيع منعه ما لم نتأكد من محصلة معادلةٍ أخرى هي معادلة المنع، فقد يكون هناك أمرٌ واضحٌ في أن محصلته سلبيةٌ عمومًا، ولكن في نفس الوقت يكون المنع مجلبةً لسلبيةٍ أعظم من سلبية بقاء هذا الأمر، ومثالٌ على ذلك (الطلاق)، فرغم سلبيته الواضحة على المجتمع إلا أن منعه يحمل سلبيةً أعظم وأخطر، أي أن الأديان في كثيرٍ من الحلات تنظر للأمر بعينه دون أن تنظر لتبعاتها.

رابعًا: حتى لو تأكدنا من أن محصلة أمرٍ ما سلبيةً، وتأكدنا أيضًا من وجوب منعه أو ردعه، يتوجب علينا بعد كل هذا أن نفرض عقوباتٍ واقعيةً وعمليةً وعقلانيةً وناجعةً على المخالف، أما العديد من الأديان فقد فرضت في الكثير من الأحيان عقوبات (دنيويةً أو آخرويةً) مبالغٌ بها على خطايا بسيطةٍ نسبيًا، مثل رجم الزاني حتى الموت، أو قتل من يمارس الشعوذة كما حصل في حملات قتل الساحرات السيئة الصيت.
وعلى العكس من هذا فرضت الكثير من الأديان في أحيانٍ كثيرةٍ أخرى عقوباتٍ أو (ترتيبات) مخففةً جدًا على خطايا خطيرة، مثل دفع مجرد مبلغٍ ماليٍّ لأهل المقتول لقاء العفو والمغفرة على القتل، أو مجرد الجلوس على كرسي الاعتراف وبعدها يُمنح المذنب صك الغفران وكأن شيئًا لم يكن.

هناك نوعٌ آخر من التشريعات الدينية استحوذ على النصف الآخر من التشريع وهذا النوع لا يعتمد الواقع الحياتي للمجتمع كمقياسٍ وموضوعٍ للتشريع مبنيٌ على الآثار العملية للفعل الإنساني وأثره في الواقع، وإنما جاء هذا التشريع كحكمٍ جامدٍ دون طرح سببٍ معلنٍ أو تبريرٍ واضحٍ له، فجاء حُكمًا غير قابلٍ للنقاش أو السؤال أو (الاستئناف)، ومثل هذه الأحكام تسمى أحكام (توقيفية)، أي يؤخذ بها كما هي والعلة عند (الله) كما يقولون، وإن كانت هناك محاولاتٌ دائمةٌ للاجتهاد في تبريرها وتأطيرها بأطرٍ تعتمد تسويغ أسبابٍ عمليةٍ لها، ولكن هي في النهاية لا تخرج عن إطار كونها (توقيفيةً). ومثل هذه الأحكام (الطقوس) العبادية وكيفيتها وأوقاتها، يضاف إليها أحكامٌ أخرى كتحريم أكل بعض الحيوانات مثلًا دون عرفان سبب ذلك.

إن هذا النوع من التشريعات والأحكام قد أفرز الكثير من الحالات السلبية على الإنسان وأثقل كاهله بالكثير من الأعباء والضغط سواءً فيما يتعلق بالطقوس العبادية المفروضة والمفروض معها عقاب (دنيويٌ وآخروي) على كل من لم يمارسه، مع العلم أن قسمًا كبيرًا منها قاسٍ وصعب، أو حتى فيما يتعلق بالأحكام التي تتضمن تحريم أمورٍ معينةٍ أخرى دون مسوغٍ واقعيٍّ وعمليٍّ معلومٍ كتحريم أكل بعض الحيوانات أو النباتات أو تحريم دخول أراضٍّ معينةٍ وما غلى ذلك.

عباس عبّود

من المهم جدًا أن نوضح هنا أن المنظومة الدينية هي دائمًا منظومةٌ اعتباريةٌ جامدةٌ تؤخذ لِذاتها وليس لأدائها ولا تتغير مع تغير مصلحة الإنسان وواقعه الحياتي المتغير، أي الغاية والمقدس هنا هي المنظومة بعينها فأصبحت مجرد رمز، وهذه النقطة هي ما جعل الدين في الكثير من الأحيان حالةً اعتباريةً جامدةً وليس حلًا واقعيًّا حيًّا يجعل إيجابية واقع الإنسان الموضوعية الحياتية هي الغاية الأسمى، فالدين كمجموعة أحكامٍ جامدةٍ ونسبية (معصومةٍ عن الخطأ) أصبحت هي تلك الغاية.

توضع القوانين والتشريعات في الدولة الحديثة لهدفٍ واحدٍ شاملٍ وهو الوصول بالمجتمع إلى أفضل واقعٍ ممكن. أي أن إيجابيّة واقع المجتمع ومعيشة أفراده، من رفاهيةٍ وأمنٍ وتقدم، هي الغاية الأسمى. أمّا التشريع الديني، فإن غايته الأسمى ليست واقع الإنسان هنا، وإنما تلك المنظومة من الأحكام بكل أقسامها العملية أو الروحية أو بأساطيرها، ولذلك بدت الأديان في تشريعاتها وكأنها تحاكي عالمًا آخر غير عالم الإنسان. صحيحٌ أن الأديان لا تحرّم الاهتمام بالعيش، لكن من المؤكد والواضح أنها تعتبر حياة الإنسان في هذا الواقع ثانويةً، ومجرد مرحلةٍ عابرةٍ لبلوغ الآخرة.

إن هذا الاختلاف في سلّم الأولويات هو مربط الفرس، حيث أنه انعكس على مضمون الشريعة والوصايا الدينية، إذ أننا نجد الحث الدائم على العبادة ونذر النفس والوقت للدين، ولا نجد نصوصًا تشجع على الاهتمام برفاهيّة الإنسان، بل على العكس، نجد نصوصًا تسخر من هكذا اهتماماتٍ وتعدّها انشغالًا بالملذات عن ذكر الله، وكذلك تُصور رغباتٍ شخصيّةً كثيرةً لا تحمل أي أذًى للآخرين على أنها خطايا خطيرة. إن الدين باختصارٍ يريد من الإنسان أن يهتم بالحياة بالقدر الذي يبقيه على قيد الحياة فقط، تقريبًا.

لا توجد في الواقع زاوية نظرٍ واحدةٍ للأمور، إذ أن هناك دائمًا عدّة زوايا يُنظر من خلالها للأمور، وعلى ضوء ذلك توضع آلياتٍ مختلفةً للتعامل مع هذه الأمور، فكل آليةٍ تناسب ظرفًا معيّنًا أو حالةً معيّنةً أو زمنًا معيّنًا. أمّا الدين فإنه يفرض حكمًا معيّنًا على حالةٍ معيّنةٍ في كل الظروف وعلى كل الأشخاص والمجتمعات وعبر كل الأزمنة، وهذا بالتأكيد لا يناسب الواقع، الذي يؤكد بأن السلبي والإيجابي نسبيّين في أحيانٍ كثيرة، وإن الوضعيّات المختلفة تتطلب قوانين مختلفةً.

صحيحٌ أن هناك أمورًا ثابتةً، ولكن هناك بالتأكيد الكثير من المتغيرات التي تفرضها الاختلافات في البيئة الاجتماعيّة والظرف العام والإيقاع المتغير للزمن. ولهذا كله يُعتبر الدين، في أحيّانٍ كثيرة، جامدًا وغير واقعيٍّ تمامًا.

إن من يريد أن يلم بموارد لا واقعيّة التشريع الديني وتخصيصاتها في شرائع الأديان، ما عليه إلا أن يقرأ شريعة أي دينٍ ويقارنها مع الأعراف العقلانيّة التي يُجمع عليها معظم عقلاء الناس، على اختلاف مشاربهم، أو مقارنتها مع التشريعات المدنية المعمول بها ضمن إطار قوانين الدول الحديثة.

عباس عبّود

إن الحالة المثاليّة هي هدفٌ ووازعٌ ينتقل بالإنسان إلى الأفضل دائمًا، ولكن الحالة المثاليّة المطلقة لا يمكن أن تتطابق مع الواقع، كما لا يمكن أن تطبّق كليًّا، وذلك لوجود ظروفٍ كثيرةٍ فرضها الواقع الموضوعي، تمنع التطبيق الكامل للحالة المثالية، وهذا لا يعني أن التقاعس عن السعي إلى الكمال مبررٌ هنا، لأنه يبقى الغاية، ولكن إذا ما ضُغط على المجتمع بشكلٍ مبالغٍ فيه من أجل بلوغ الكمال، فإن ذلك يؤدي إلى التمرد والنفور من المُثل والحالة المثاليّة المرجوّة. أيّ ستتولد نتيجةً عكسيّةً تمامًا، فبدل الإصلاح سيتوجه المجتمع مع هذا الضغط إلى التمرّد والفوضى والسلبيّة.

إن هذه النقطة مهمّةٌ جدًّا وقد تنبّه لها المشرّعون القانونيون في الدول المتقدمة، لذلك كانت قوانينهم تتسم بالواقعيّة. أمّا الدين فإنه تحول إلى شبح جلادٍ يلاحق الفرد في كل جزئيّات حياته ويترصده في كل شيء. وهنا يحضرني مثالًا طريفًا ومحزنًا في آنٍ معًا عن الكبت الصارم واللاواقعيّة في الدين، حيث أن لي قريبًا لديه صديقٌ متديّنٌ يعاني من شدّة وطأة الغريزة الجنسية عليه، وهو غير متمكنٍ من الجماع، فأرسل صديقه إلى عالمٍ دينيٍ مجتهد(مفتي)، للاستفتاء حول إمكانيّة الإذن له بممارسة العادة السريّة، ولو كل فترة، للخلاص من هذا الضغط الكبير، فما كان من العالم إلا أن أجاب بالرفض. بل إن الدين ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث طارد الإنسان حتّى في خيالاته، إذ فرض عقابًا آخرويًا شديدًا في نار جهنم، عقابًا على مجرد تخيلات.

إن هذه الحديّة المطلقة والكبت الرهيب، بالإضافة إلى ما وضّحناه حول لا واقعيّة الدين، من ناحية غاية التشريع ونظرة التشريع الديني، كل ذلك أدّى إلى تولد فجوةٍ عظيمة، بين التنظير الديني المثالي وواقع الإنسان العملي ومقتضياته، وهذه الفجوة أدّت بمعتنقي الدين إلى التمرد على أحكام هذا الدين ومخالفتها بشكلٍ صارخٍ عمليًّا، وهذا حدثَ ويحدث في كل الأزمنة والأمكنة مع وجود اختلافاتٍ في الدرجة. أي أن الدين بقي في معظم الأحيان عقيدةً مجردةً فقط. إن هذه الازدواجيّة الواضحة حاضرةٌ في حياة كل المجتمعات التي تعتنق دينًا معيّنًا، وبالنتيجة انسحبت هذه الازدواجية إلى مجمل تعاملات هذه المجتمعات عمليًّا، وهذه نقطةٌ جدّ خطيرة.

إن اللاواقعيّةٌ في التشريع الديني، بكل وجوهها الآنفة الذكر، قد أدّت بالكثير من المتدينين إلى الشعور بالاغتراب والعزلة عن المجتمع، وخصوصًا مع وجود ثقافة الروحانيّة والتصوف، وهذا بالتأكيد يؤدي إلى نتائج خطيرة، مثل العزلة عن المجتمع، والتعنصر، وزرع الكراهيّة للغير، وهذا يمهد بالتأكيد لبروز جماعاتٍ معاديةٍ للمجتمع، مثل الجماعات الإرهابيّة. إن الحديّة المطلقة تؤدي إلى إصابة النفس بأمراضٍ نفسيّةٍ كثيرة، مثل الإصابة بمرض عقدة الكمال، حيث نجد الكثير من المتدينين يتوجسون من كل شيء، مخافة أن يكون مخالفًا لأحكام الدين. أمّا الكبت الرهيب للشهوات، فيولّد العصاب، والتشنج النفسي، والكآبة، وهذا كله نتيجةٌ طبيعيّة، وفقًا لطبيعة النفس البشرية، وطبيعة التعامل الديني الجاف معها، وعلم النفس التجريبي يؤكد هذا. إن هذه اللاواقعيّة أدت إلى حرمان الكثيرين من الكثير من حقوقهم الحياتيّة، تحت شعار الحُرمة الدينيّة.

عباس عبّود

هذا على الصعيد الشخصي، أمّا على صعيد الجماعات والشعوب، فإن سلبية الدين في اللاواقعيّة تتجسد بشكلٍ واضحٍ في صراعاتٍ كثيرة، صغيرةٍ وكبيرة، حيث لا تعرف الأطراف المتنازعة ثقافة التنازل، بسبب نفوذ التطرّف الديني في القرار وفي النفوس، وعند كل الأطراف. وخير مثالٍ على هذا، الصراع العربي الإسلامي مع الإسرائيلي اليهودي، حيث لعب التعنت الإسلامي واليهودي دورًا أساسيًا في عدم الوصول إلى حلٍ واقعيٍّ لهذا الصراع المزمن، بسبب الصبغة الدينية للصراع والمشبّعة برائحة الأساطير والوعود التأريخية الدينية المقدّسة والتي تُعتبر عند الطرفين أكبر من التنازل. والأمثلة كثيرةٌ وكثيرةٌ وتمتد عبر التأريخ مع عمر الدين.

إن هذه السلبيّة في التشريع الديني نتيجةٌ حتميّةٌ لتشريعٍ لا يعرف شيئًا اسمه الاجتزاء، ولا يعرف شيئًا اسمه التغيير، ولا شيئًا اسمه ضرورات الواقع، ولا شيئًا اسمه النسبيّة.

التعامل مع الآخرين ومقاييس تقييمهم

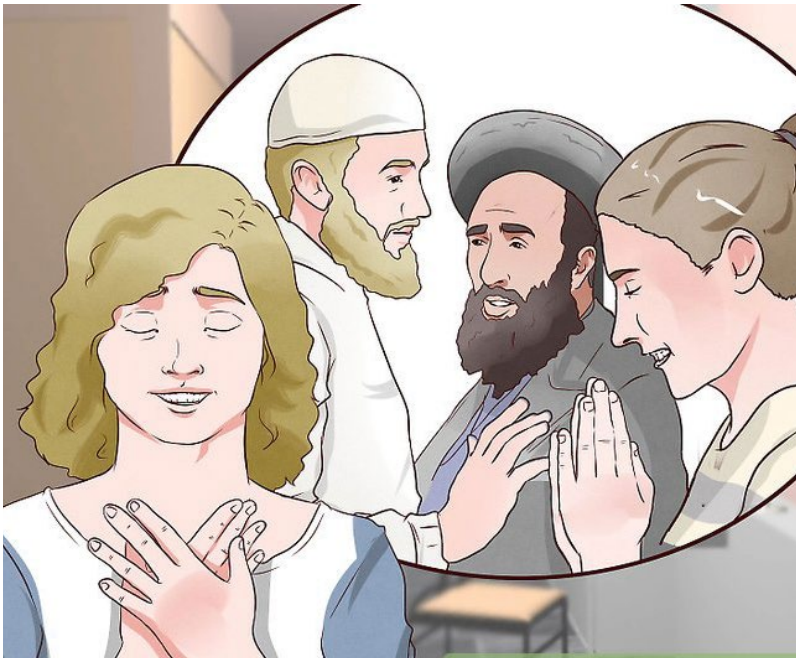

من الأفضل أن يعتقد البشر جميعًا عقيدةً واحدةً ويتوجهون توجهًا واحدًا، لكن الواقع غير ذلك، فالبشر يختلفون في أمورٍ كثيرة، وهذا الاختلاف طبيعي، فالظروف تختلف والبيئة تختلف والزمن يختلف. أي أن أسس الاختلاف مفتوحة، وهذا ما جعل الاختلاف أمرًا طبيعيًا وواقعيًا. إن الاختلاف أمرٌ إيجابيٌ وثراءٌ حقيقيٌّ في أحيان، وفي أحيانٍ أخرى هو أمرٌ سلبي، ولكن السلب ليس في الاختلاف بذاته، وإنما بتأثيره ونوعه.

إن الاختلاف في العقيدة والدين أمرٌ طبيعيٌ وعاديٌ ومباح، وللإنسان حريّة الاعتقاد، ومن حقّه أن يدافع عن عقيدته، لا بل من حقّه أن يبشّر بها، ومن حقّه أيضًا أن يحاول دحض (فكريًا) عقائد الآخرين. أما أن تتحول العقيدة إلى أساسٍ ينطلق منه الإنسان لإلزام الآخرين بالاعتقاد بعقيدته، أو أن يقمع الآخرين بناءً على الاختلاف في العقيدة المجرّدة، فعندها يكون من حق المجتمع مقاومة هذه العقيدة، على الأقل في جانبها العدواني.

أمّا إذا تُرجمت هذه العقيدة السلبية إلى سلوكٍ وقرارٍ عمليٍ عدواني، عندها يتوجب إعلان الحرب على هذه العقيدة والعاملين بها، وهذا من باب الدفاع عن النفس والمجتمع، لأن ثقافة الطغيان أساس البلاء والهدم في المجتمع البشري.

عباس عبّود

ومن هذا المقياس نجد أن الكثير من الأديان سلبيّةٌ بشكلٍ واضح، من خلال نصوصها النظرية، وتأريخها الموّثق، وأداء معتنقيها العملي. وهذا كله لم يأتِ من فراغ، بل من طبيعة نظرة الدين للآخرين الذين يختلفون في المعتقد. فماذا عسانا أن نتوقع من أناسٍ يؤمنون بعقيدةٍ تقول: إن من لم يؤمن بهذه العقيدة(عقيدتهم) هو عبارةٌ عن إنسانٍ استحوذ عليه الشيطان فأطاعه، وهو إنسانٌ كافرٌ بالله العظيم ونعمه العظيمة على البشر، وهذا الإنسان لم يهده الله إلى الطريق الصحيح(عقيدتهم) لأنه شريّرٌ في جوهره، وهو خطرٌ على الدين طالما أنه لا يؤمن به.

إن هذا الوصف الذي يزرع العدائيّة المطلقة يطلقه الدين على كل مخالف، سواءً أكان ملحدًا أو معتنقًا لدينٍ آخر، بل ويستمر هذا الحكم العدائي ليصل حتّى إلى أبناء الدين الواحد، فيُطلق هذا الوصف الحكم على من يتخذ مذهبًا آخر من مذاهب الدين نفسه، لا بل يستمر مسلسل العدائيّة هذه ليشمل حتّى ابن المذهب نفسه، الذي يؤمن به ولكنه لا يطبّق أحكامه عمليًّا.

إن الكثير من الأديان تحكم على الناس المخالفين بالعقيدة بإلقائهم في نار جهنّم خالدين فيها، حتّى لو كانوا حسني الأخلاق والسلوك، لا لشيءٍ إلا بسبب إشكاليةٍ فلسفيّةٍ معقدّةٍ لا يفهمها حتّى الفلاسفة أنفسهم (مثل الله والوجود)، فكيف يكون الحال مع مساكين المجتمع وعامّته. فماذا نتوقع إذًا ممن يؤمن بهكذا عقيدة. علمًا بأن هذا الانطباع يمتد ويتمدد ليعم ويترسّخ بين مجتمعاتٍ وشعوب، ويتحول إلى تعاملٍ عدائيٍ وسلبيٍ بينها يمتد لمجالاتٍ كثيرةٍ ومراحل زمنيةٍ طويلة، والنتيجة، صداماتٌ متكررةٌ وكارثيّة.

ومن المحزن أن هناك ظاهرةً غريبةً تحت هذا العنوان موجودةٌ عند شعوبٍ كثيرةٍ مؤدلجة دينيًا، حيث تنتشر بينهم ثقافة (الشماتة) بالشعوب الأخرى أو الأفراد الآخرين، من دياناتٍ أو عقائد أخرى، الذين تحلّ بهم كارثةٌ أو مصابٌ ما، وهذه الشماتة تكون تحت شعار، إنهم يستحقّون ما حلّ بهم لأنهم كفرة.

إن العدائيّة وصلت عند بعض الأديان إلى حد أن تأمر معتنقيها بنصوصٍ صريحةٍ بقتل ومحاربة أهل العقائد الأخرى واستباحة أعراضهم وأموالهم، أو فرض الضرائب عليهم، فقط بسبب عقيدتهم، أو إخضاع آخرين للشريعة الدينية بالقهر وإجبارهم على التمظهر بمظاهر دينيةٍ معينةٍ وتأدية طقوسٍ عباديةٍ معينة. إن الواقع والتأريخ مليءٌ بهذه الممارسات الدينية.

إن الكثير من الأديان مارست الاضطهاد الفكري بحق الآخرين بشكلٍ واضحٍ ماضيًّا وحاضرًا، بعد أن قَوت شوكتها، أمّا قبل ذلك فقد كانت هي أيضًا ضحيّةً لهذه الممارسات.

عباس عبّود

إن سلبيّة هذه الأديان في هذا الموضوع تتراوح بين العنصريّة، ثم صعودًا إلى الاضطهاد، ووصولًا إلى القمع والقتل، وهذا التراوح يكون بحسب الدين والمذهب والظرف.

إن أهل الأديان عمومًا يمارسون ما يمارسون، بناءً على تنظيرات دينهم وأوامر مراجعهم، وهم أيضًا يجدون في ذلك لذّةً ساديّةً غريزيةً في القضاء على الآخر، وكذلك يحاولون من خلال هذه الممارسات أن يجدوا فرصةً للتقربّ إلى الله عن طريق معاداة أعدائه(الآخرين)، وبهذا يكفّروا عن بعض ذنوبهم، حسب عقيدتهم. وفي هذا كلّه تجاوزٌ حتّى للثوابت الأخلاقيّة العامّة.

وفي الحقيقة، إن الأديان تجد مبررًا أكثر من غيرها من العقائد للاستبداد، لأنها تعتقد أنها مرسلةٌ من الله وتمثل سلطته العليا على الأرض، والله هو مالك الخلق ويفعل بهم ما يشاء، ولذلك يحاولون هم أن يفعلوا بالناس ما يشاؤون. وكل دينٍ يرى في أتباعه أنهم شعب الله المختار، والآخرون حثالة. أمّا إذا كان الدين أو المذهب ضعيفًا، فإن هذه العنصرية تتحول إلى شعورٍ بعقدة الاضطهاد، والإيمان بنظرية المؤامرة، وهذا واضحٌ جدًّا عند الأقليات الدينية، أو الأديان والمذاهب المغلوبة على أمرها.

إن هذه النظرة الفوقيّة في الدين تجاه الآخرين، قد تُرجمت في أحيانٍ كثيرةٍ إلى كبت الحريّات الدينية لأديانٍ أخرى، وتُرجمت أيضًا إلى قمع الحريات الشخصيّة للناس العاديين والعلمانيين ومن قِبل أديانٍ عديدة. كما أن هذه العنصرية ولّدت إسقاطاتٍ سلبيّةٍ كثيرةٍ وكبيرةٍ على أفراد المجتمع، وحتّى أفراد الأسرة الواحدة، وفي أمورٍ عديدة، مثل الزواج والتربية ومجمل العلاقات الاجتماعيّة الأخرى. بل إن بعض الأديان تفتي بحرمة ملامسة أفراد بعض العقائد (لأنهم أنجاس).

إن المتدينين قد يحتملون الاختلاف في كثيرٍ من الأمور، ولكن عندما يصل الأمر إلى الاختلاف في الدين، فإنهم ينفرون من المقابل المختلف بشكلٍ كبيرٍ وغريب، وهذا أمرٌ سلبيٌّ وخطيرٌ يؤدي إلى زرع العنصرية والتكتلات داخل المجتمع البشري، ولا يخفى الضرر والمعاناة اللذان ينجمان عن هذا الأمر، وخصوصًا مع اتجاه المجتمع البشري إلى التقارب مع مرور الوقت.

إن المقياس (العام) الوحيد والصحيح والمفترض الذي يقيّم الآخرين في التعامل، هو مقياس الثوابت الأخلاقيّة العامّة، أمّا العقيدة فهي مسألةٌ شخصية، وإن تغيير هذا المقياس العام هو هدمٌ حقيقيٌّ للمجتمع.

وباختصارٍ شديد، يتوجب على الأديان وأصحابها، وحتّى غير المتديّنين، أن ينظروا إلى الاختلاف في العقيدة، في التقييم والتعامل، مثلما ينظرون إلى الاختلاف في الآراء العلمية المجردّة.... تمامًا.

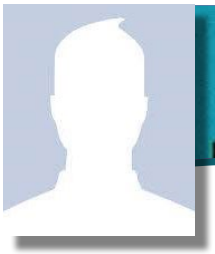

عباس عبّود

الدين والتغيير

تتفاعل مفردات الواقع مع بعضها بحيويةٍ وديناميكية مستمرّة، لذلك دائمًا هناك واقعٌ جديد.

إن الأديان مفردةٌ من مفردات الواقع ومعشّقة مع غيرها من المفردات، وعلى الرغم من وجود سلبيّة الجمود في الدين، بسبب كون الشريعة الدينية ثابتةً وغير قابلةٍ للتغير اللاحق بتاتًا، إلا أن الواقع بحضوره الجبّار، فرض بعض التغيير في الأديان مع تقدم العصر وتقادم التجربة.

إن هذا التغيير، لم ولن يكون بنفس المقدار عند كل الأديان والمذاهب، فهناك تباينٌ واضحٌ في هذا الشأن، وهذا يرجع إلى عدّة أسباب، أهمها طبيعة البناء الذاتي للدين ومدى استعداده للتغيير أو للتطور، وكذلك مدى وضوح النصوص الدينية، ومدى الإجماع عليها، وشدّة ثبوتها في النظرية الدينيّة، ونفوذها في المجتمع المتديّن.

إن هذه النقاط هي في الحقيقة ساحة الصراع الذي يدور، وفي كل الأزمة والمجتمعات، بين أطراف الدين الواحد والمذهب الواحد، وتحديدًا بين الأصوليين المتزمتين، وبين أنصار التغيير والمواكبة. فالأصوليون يرون دائمًا أن كل عمليّة تغييرٍ هي حالةٌ غير أصيلةٍ في الدين أو المذهب، ولذلك هي ليست من الشريعة، وهذا يعني أنها غير شرعيّة. أمّا أنصار التغيير، فإنهم يرون بأن عملية التغيير شرعيّة، طالما أنها تتوافق مع روح الشريعة الدينيّة وثوابتها، وهؤلاء يستغلون الاختلاف الموجود في سرد كثيرٍ من الحوادث التأريخيّة الدينيّة، وكذلك يستغلّون مساحةً لا بأس بها تتعلق بالاختلاف في تفسير الكثير من النصوص الدينية والوجوه المحتملة لذلك.

إن ضغط الواقع والضرورة على النظرية الدينيّة، قد نجح في إجراء عمليّة(تقليم أظافر) لبعض سلبياتها، إذ أنه تمّ تغييرها بحيث تصبح مناسِبةً أكثر لطبيعة ونمط الحياة والمجتمع.

ورغم هذا كلّه، بقي التغيير في النظرية الدينيّة طفيفًا عمومًا، ولا يتناسب مع التغيير في الواقع الإنساني وإيقاع الحياة. ولذلك نجد أن هناك هوّةً واسعةً بينهما إلى الدرجة التي جعلت المعتنقين للدين يعيشون واقعًا متناقضًا بشكلٍ واضح، وهذا التناقض هو ما بين أحكام الشريعة التي يؤمنون بها، وبين سلوكهم العملي المخالف لها في جوانب كثيرة. وهذه

عباس عبّود

الحالة شائعةٌ في كل المجتمعات المؤدلجة دينيًا وفي كل الأزمنة، مع وجود اختلافٍ في الدرجة.

وفي الحقيقة، إن سلوك هؤلاء الناس العاديّين أمرٌ فيه إيجابياتٌ عمومًا، حيث أنه يتسم بالواقعيّة أكثر ويخرج بهؤلاء من دائرة الدين المغلقة والمتزمتّة، ويضعهم على أرضيّةٍ مشتركةٍ مع بقية الناس، على اختلاف توجهاتهم العقائديّة، بالإضافة إلى أن هذا التمرّد على بعض المضامين المتزمتّة في الشريعة يحجب عن هؤلاء الكثير من سلبياتها.

من الواضح أن الأديان لا تتغير بنفس المقدار، كما أسلفنا، والأديان التي نجحت أكثر في التغير، هي الأديان التي ستستمر أكثر في المجتمع، وكلمّا كان الدين أو المذهب جامدًا، فإنه بالتأكيد سيتقوقع ويتحجّم، ويقل بالتدريج معتنقوه أو العاملون به.

إن الحياة البشريّة الحديثة تسير نحو اندماج المجتمعات أكثر، ونحو اقتراب هذه المجتمعات من نمط حياةٍ شبه موحّد، ونحو الاقتراب من مفاهيم عامّةٍ وأعرافٍ شبه موحدّةٍ أيضًا.

وكل ذلك سيؤدي إلى عزلة النظرية الدينيّة الأصولية، وخصوصًا الجامدة منها والمتعنصر والفاضح السلبيّة. كما أن العولمة، بمعناها الاجتماعي العام، وأدواتها المؤثرة، المتمثلة بمجمل وسائل الاتصال والتقارب الحديثة، تمثّل قوّةً إيجابيّةً هائلةً تلتهم سلبيات الدين، وتقود المجتمع نحو التوحّد والتكامل.

إن التطور عمومًا أمرٌ إيجابي، ومن واجب الجميع مساندة رجال الدين المصلحين والمغيّرين نحو الأفضل ودعمهم، طالما أنهم يقودون أتباعهم نحو الانصهار أكثر بالواقع الاجتماعي العام. وفي الحقيقة إن هؤلاء المصلحون ينفعون دينهم وأتباعهم وأنفسهم بالخصوص، ومجمل المجتمع البشري بالعموم، بتوجههم هذا.

تجب الإشارة ضمن هذا السياق، إلى بروز ظاهرةٍ إيجابيّةٍ جدًّا، وهيّ ظاهرة تعطيل بعض الأحكام والتقاليد الدينيّة تحت عنوان الاضطرار والضرورة، بسبب الضرر الذي تجلبه للدين والمجتمع عمومًا في حال العمل بها، وهذه حالةٌ إيجابيّةٌ جدًّا، بل هي نافذةٌ وواعدةٌ تطل على واقعٍ جديدٍ للأديان والمجتمع، حيث تسود العقلانيّة.

أي أن هناك محاولاتٍ جادّةً لتقديم صورةٍ محسّنةٍ للدين من قبل بعض المصلحين الدينيين الشجعان، حيث أنها تتسم بالواقعيّة أكثر، وهذا أفضل للجميع.

عباس عبّود

كيفيّة التعامل مع الأديان

الأديان كطرحٍ أيديولوجي مجرّد، حالةٌ طبيعيةٌ طالما أنها ضمن إطار وأصول التنوع والاختلاف في الأيديولوجيات في واقع الإنسان، وحتّى الأخطاء الفكريّة هنا، هي حالةٌ طبيعيّةٌ تدخل ضمن واقع وسياق الطرح الأيديولوجي العام في التراث البشري، حيث أن كل نظريةٍ أو طرحٍ يطرح فكرًا معيّنًا ويُرفقه باستدلالاتٍ معيّنةٍ للدفاع عنه، والحكم عليه هو العقل.

ولكن عندما تتجاوز المسألة حدود الاختلاف الفكري، وتتحوّل إلى ممارساتٍ عمليّةٍ تنطوي على قدرٍ واضحٍ من العنصرية والاستبداد والاضطهاد للأفراد أو الجماعات، عندها تكون الأديان قد تجاوزت خطًا أحمر عامًا، وهو سلامة المجتمع البشري، وعندها أيضًا يتوجب على الجميع عدم الاكتفاء بالمواجهة الفكرية مع هذه الممارسات السلبيّة، وإنما التحول إلى المقاومة العمليّة لها، لأنها انتقلت من الطرح السلبي المجرد، إلى الممارسة السلبية العمليّة.

وهذا الحال لا ينطبق على الأديان فقط، وإنما ينسحب إلى مجمل الطروحات والممارسات الهدّامة، سواءً كانت طروحاتٍ سياسيّةً أو اجتماعيّةً، لأنها خطرٌ حقيقيٌ يهدّد المجتمع ككيانٍ عام، والفرد كجزءٍ من هذا الكيان.

وهنا يجب التركيز على أن المقاومة هذه يجب ألّا تصاب بعمى الألوان، وتُوجّه إلى كل الأديان وكل المتدينين، وإنما يجب أن تكون مقاومةٌ راشدةٌ وموضوعيّة، وموجهّةٌ إلى النقاط السلبية فقط، والجهات العدائيّة حصرًا. لأن الغاية يجب أن تكون الأصلح وليس القمع المبني على ردود الأفعال العاطفيّة الغاضبة، كما أن أدوات المقاومة يجب أن تكون نظيفةً، وآلياتها منضبطةً، والاّ نكون قد أضفنا مصيبةً إلى المصائب.

وهنا تجب الإشارة إلى أن الأديان تعرضت للقمع المقيت عبر كل الأزمنة تقريبًا وصولًا إلى العصر الحديث، والممارسات المقيتة لبعض الأنظمة العلمانيّة الدكتاتوريّة، مثل بعض الأنظمة الشيوعيّة والتي أساءت للإلحاد كفكرةٍ مجردةٍ وروح الاشتراكية كهدفٍ محترم، لا زالت حاضرةً في الذاكرة البشرية، على سبيل المثال لا الحصر، ولا زالت هكذا ممارساتٌ موجودةٌ حتّى اليوم.

عباس عبّود

تجب الإشارة هنا إلى أن معظم الظلم الذي حاق بالدين وأهله هو ظلمٌ داخلي، أي أن الأديان والمذاهب الدينية ظلمت بعضها البعض ظلمًا، أكثر من ظلم العلمانيين والملحدين لها، وبأضعافٍ مضاعفة. إن إصلاح المجتمع لا يتم بالتهجّم والعدائية، وإنما بالنقد البنّاء، وهذا الأمر ينطبق على كيفيّة التعامل مع الأديان، فلا ينفع الاستهزاء أو الاستفزاز، بل إنه يضر بالقضية ويزيد سوء الحال سوءًا، ويؤدي إلى التعنصر والاعتزاز بالأخطاء بالتأكيد. فمثلًا عندما ألّف سليمان رشدي كتابه عن الإسلام، كان من الواضح من خلال اسم هذا الكتاب، بل وحتّى عنوانه (آياتٌ شيطانية)، أن الكاتب مدفوعٌ بعاطفة كراهيّةٍ تجاه الإسلام، ولم يكن الدافع هو الحقيقة الموضوعيّة، أو النقد البنّاء. إن مثل هكذا تعاملًا مع القضايا هو عمليّة دس سمٍ حقيقيّةٍ بين ثنايا المجتمع البشري.

ماذا يجب أن نقدّس

نحن بحاجةٍ إلى تقديسٍ يكون فيه الإله غير جالسٍ على عرشٍ عظيمٍ في سماءٍ مجهولة، وإنما يكون فيه الإله داخلنا كلنا، فهو لا يحتاج إلى دليلٍ يدل عليه، لأنه محسوس، ولا يحتاج إلى براهين عقلية، لأنه هو المقياس الفكري. وهذا الإله هو العقل المجرّد السيّد، أمّا العقل الموجود عند الكثيرين، فهو العقل العبد، والذي يعبد عواطف معيّنةً، وتوجهاتٍ وأطرًا موضوعةً مسبقًا.

هذا التقديس عرّابه نبيٌ يحترم طرح الأنبياء والمصلحين، طالما أن غايتهم كانت الإصلاح لا غير، وهذا النبي لا يحمل معجزةً لكي يلزم الناس بها على الانتماء القسري، وإنما يحمل سلطانًا عظيمًا علينا كلنا، وهذا النبي هو الضمير الإنساني، والذي لا يختلف اثنان على خطوطه العامّة وصدقه، فهو النبي الحق، وهو رصيد الإنسانية الحقيقي.

أمّا الشريعة المقدّسة الصحيحة، فهي شريعةٌ تنظّم واقعنا وتحترم اختلافاتنا، شريعةٌ لم تأتِ من مكانٍ بعيدٍ في السماء، وإنما تنبع من ينابيع الواقع الإنساني، وتتعامل مع قضايا الإنسان بواقعيّةٍ قياسيّة، وليس بمثاليّةٍ متكبّرةٍ على الواقع.
نحن بحاجةٍ فعلًا إلى مؤمنين، لا يؤمنون بفكرةٍ لكي يتعصّبوا لها، ويتكبّرون على من لا يؤمن بها، وإنّما يؤمنون بأن

عباس عبّود

الاختلاف جزءٌ من الواقع الإنساني، ويؤمنون بأن من يجب أن يُنبَذ، هم فقط الذين يتجاوزون الخطوط الأخلاقيّة العامّة، ويهددون سلامة المجتمع البشري.

نحن فعلًا بحاجةٍ إلى هكذا إيمان، وهكذا مؤمنين، لأننا اليوم، وللأسف، بين إيمانٍ متعصّبٍ متكبر، عند أناس، وبين حليّةٍ تامّةٍ عند آخرين من أي انتماءٍ أو مرجعيّة، أخلاقيّةٍ أو عقليّة.

نحن ننصح بهذا التقديس، والذي يملك الصدر الأبوي الأوسع، الذي يحتضن اختلافات العقيدة، ويلتزم الإصلاح، لا القمع. ولكن هذا الصدر الواسع، لا يتسع بالتأكيد للإنسان الذي يعبد ذاته، وليس لديه أي مبدأ.

وقود فكرة (الله) والدين

إن المؤمنين بالله وبأي دين، لا يتأثرون كثيرًا بالطرح الجدلي المخالف لعقيدتهم، حتّى لو كان هذا الطرح مصحوبًا بأدلّةٍ دامغة، والسبب هو أن دواعي الإيمان بالله والدين ليست عقليّةً مجرّدةً حتّى تكون منقادةً لمعادلة الأدلّة الجدلية، وإنما هي دوافع نفسيّةٌ في غالبيتها الساحقة، كما هو موضّحٌ آنفًا. إن حب النفس البشرية لذات (مفترضة) بمواصفات إيجابيّة مثاليّة مثل (الله)، وتراكم هذا الحب وهذه الفكرة عبر الأجيال في عقول ونفوس الناس، وتعشّقها في عادات وتقاليد وأعراف المجتمع، كل ذلك جعل من فكرة الله (شبه) جزءًا من النفس البشرية والبناء الاجتماعي العام. وكذلك الحال مع النصف الثاني من الفكرة (الدين).

كما أن اقتران الدين بالأخلاق العامّة عند معظم الناس، قد جعل هؤلاء يتصورون (خاطئين)، أن عدم ثبوت الدين كطرحٍ فكري، يستلزم عدم ثبوت الثوابت الأخلاقيّة العامّة، ولذلك نجد هؤلاء لا يستطيعون أن يتصوروا أنفسهم أو مجتمعهم بلا دين.

في النهاية لا يصح إلا الصحيح، ومن الواضح أنه ومع مرور الزمن وترسيخ العقلانيّة في اعتقاد وسلوك الناس، بدأت أعداد الذين يرون في فكرة (الله) فكرةً خياليةً يزداد، وبدأت تزداد أيضًا أعداد الذين يرون في الدين أنه دستورٌ غير واقعيٍّ للمجتمع.

لكن وعلى العموم، نحن نتمنى أن تكون أسباب التغيير وآليّاته إيجابيّةً، لأنها إذا كانت فوضويّةً، وبقصد التمرد فقط، فإنها ستكون أمرًا خطيرًا.

عباس عبّود

الخلاصة

لقد أثبتت التجارب البشريّة عبر التأريخ، فشل النظريات الشموليّة، سواءً أكانت ذات طابعٍ دينيٍّ أم لا، لأن هذه النظريات أهملت جزءًا مهمًا من واقع المجتمع وحركته، حيث أنها أهملت الاختلاف الهائل بين المجتمعات، والشذوذ عند بعض الجماعات، والتغيير المستمر في معادلات المجتمع بفعل الزمن والتصاهر.

فإخضاع كل الحالات والمتغيرات لمعادلةٍ محددةٍ واحدة، أمرٌ غير منطقيٍّ وغير عملي، وبشكلٍ لا يحتاج إلى توضيح. إن النظريات الدينيّة، باعتبارها نمطٌ خاصٌ من أنماط الشموليّة، مشمولةٌ بهذا الحكم. بل إنها أضافت خطأً آخر مضافًا إلى الخطأ الموضّح، وهو المثالية المتعالية على الواقع، والطوباويّة في التنظير.

وأثبتت التجربةُ البشريّة كذلك، أن أفضل ما طرح الإنسان، في هذا المجال، هو القانون المدني ضمن إطار الدولة الحديثة(بشكلٍ عام)، لأن هذا القانون اتّسم بالواقعيّة والموضوعيّة، وكذلك احتواءه على هامشٍ جيّدٍ لاحتواء الاختلافات، وأيضًا تضمّنه لآلياتٍ مناسبةٍ للتعامل مع المتغيرات المستقبليّة.

وعلى هذا الأساس، يمكننا القول،

- أن خير ما ينفع المجتمع، هي النظرية النسبيّة الاجتماعيّة.

- لا يستطيع أحّدٌ أن ينكر، أن الدين جزءٌ مهمٌ من التأريخ والتراث البشري العام.

- الهدف الرئيسي للكتاب ليس أن يتخلى الناس عن دينهم، وإنما أن يصلحوه.

- لا أتمنى أن يتعذب أي شخصٍ في أي جحيمٍ بسبب عقيدته المجرّدة، ولا ينبغي ذلك.

لقد قدّس الإنسان أشياءً كثيرةً عبر آلاف السنين من عمر التجربة الإنسانيّة الطويلة، لكن (الله) كفكرة، والدين (كنظريّة) وممارسة، بلا أدنى شكٍ أقدس ما قدّس الإنسان، وأعظم ما نفذ إلى نفسه وواقعه. ونحن في هذا الكتاب نحاول أن نجرّد (الله) و(الدين) من حصانتهما القديمة، لكيّ نتبين: هل أن هناك إلهًا لكي يُقدَّس، وهل إن نظريّة الدين صحيحةٌ وناجعةٌ وقدّمت للإنسان ما يجعلها جديرةً بالتقديس. مع الاحترام والاعتذار لكل الأديان والمتدينين.

http://www.ahewar.org

الحوار المتمدن

الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن
يسارية , علمانية , ديمقراطية
" من أجل مجتمع مدني علماني ديمقراطي
حديث يضمن الحرية والعدالة الاجتماعية للجميع"

المسيحيَّة..
خيانةُ ثورة!

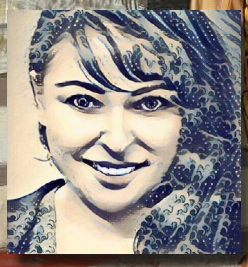

Norma Bassily

لو سألت أي مسيحيٍّ عن علاقة يسوع باليهود سيكون جوابه بالآية التالية: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» يوحنا (1: 11)، وسيؤكد أن اليهود هم من صلب يسوع، وأن هذه العلاقة كانت متوترةً من أول لحظة،

لوحة الغلاف: «نهب معبد أورشليم» بريشة الفنان الروماني المعاصر Radu Oltean

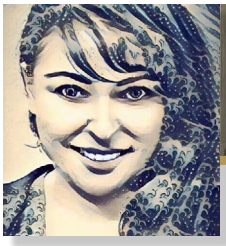

المسيحية: خيانة ثورة!

Norma Bassily

وكثيرًا ما اتهموه بالهرطقة والكذب وأنه كان يشكل خطرًا على عقيدتهم التي تنظم كل حياتهم. نقرأ في إنجيل يوحنا: «أَجَابَهُ الْيَهُودُ: لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ» يوحنا (19: 7). ويرجع سبب هذه الفكرة إلى رواياتٍ عديدةٍ ذكرها الإنجيل، منها مثالًا أعطاه يسوع لتلاميذه عن مالِكِ كرْمٍ كبيرٍ يعمل فيه عددٌ من الأُجَراء، وكان يرسل لهم نوابًا عنه لجمع الحصاد والثمار، فلما قتلوهم جميعًا قرر صاحب الكرم إرسال ابنه اعتقادًا منه أنهم سيهابونه ويطيعونه، ولكنهم قتلوه أيضًا، فما كان من مالك الأرض إلا أن أخذ منهم الكرم وحرمهم من خيراته ومنحها لأشخاصٍ آخرين (إنجيل مرقس 12: 1 - 12). صاحب الكرم هنا هو الله الآب، وابن صاحب الأرض هو يسوع، ونوابه أو عبيده المرسلين نيابةً عنه هم الأنبياء، والأجراء هم شعب الله المختار، أما الأشخاص الآخرين، فهم من وصفهم يسوع أمام تلاميذه بكل الأمم: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» متى (28: 19)، إذ قصد بالأمم أي شعبٍ ماعدا شعب الله المختار، الذي استثناه هنا لأن اليهود رفضوه وصلبوه.

ويكمل الإنجيل القصة: «فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلاً: قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ. حِينَئِذٍ بَصَقُوا فِي وَجْهِهِ وَلَكَمُوهُ، وَآخَرُونَ لَطَمُوهُ، قَائِلِينَ: تَنَبَّأْ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟» متى (26: 65 - 68). جاءت هذه الكلمات على لسان رؤساء كهنة اليهود والشعب في محاكمة يسوع التي انتهت بصلبه وموته. فرواية الإنجيل توضّح أن رؤساء كهنة اليهود هم من تآمر على يسوع، بسبب حقدهم عليه واعتقادهم أنه يكفر ويجدف على الله.

أصول اليهود بين الكتاب المقدس وكتب التاريخ

يذكر الكتاب المقدس أن نشأة دولة إسرائيل (الدولة العبرانية) كانت في الشرق الأوسط تحديدًا في المنطقة المعروفة بأرض إسرائيل، آنذاك، كمجموعةٍ عرقيةٍ دينيةٍ خلال الألفية الثانية ق.م. ولكن يخبرنا خبراء التاريخ أن لوحة مرنبتاح[1] هي الدليل الوحيد على ظهور اليهود في أرض كنعان، في العصر البرونزي قبل

1- لوحة مرنبتاح: لوحةٌ تذكاريةٌ لملك مصر مرنبتاح (1213 - 1203 ق.م)، وهي لوحٌ سميكٌ من حجر الجرانيت تروي انتصار الملك أمنحتب الثالث في بلاد الشام (ومن ضمنها قبائل إسرائيل). توجد اللوحة الآن في المتحف المصري بالقاهرة. ويعتبر ذكر قبيلة إسرائيل على اللوحة هو الدليل الآركيولوجي والتاريخي الأقدم بخلاف ما قرأنا عنها في التوراة.

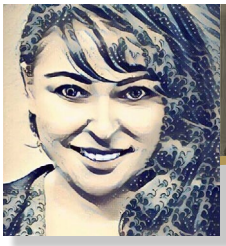

Norma Bassily

1500 عامًا من الميلاد، وأنهم قد اندمجوا مع أهل المنطقة من البدو، وذلك عكس ما ورد بالكتاب المقدس، أنهم ظهروا في المنطقة قبل ذلك بآلاف الأعوام، أو أنهم تركوا أي آثارٍ تُدَلل على وجودهم في مصر. واليهودية في الكتاب المقدس لا تقتصر على ديانةٍ أوعقيدة شعب إسرائيل، بل هي أيضًا هويةٌ وعرق. أما المؤرّخون، فيقسمون التاريخ اليهودي إلى خمسة أقسام:

1- إسرائيل قبل اليهودية (586-1500 ق.م)

بحسب الكتاب المقدس، نجد أن موقع إسرائيل كان في أرض كنعان، وكانت تضم ما يعرف حاليًا بدولة إسرائيل والأردن ولبنان، وكانت تعتبر ملتقى الحضارات، إذ كانت محاطةً بالحضارات المصرية والبابلية. وكان شعب إسرائيل مكونًا من اثنتي عشرة قبيلةً بعدد أبناء يعقوب. ولكن لم يعثر الخبراء الأركيولوجيين على أي أثرٍ لشتاتٍ لهم في شبه جزيرة سيناء، رغم أن المناخ قد حافظ على أقل أثرٍ لمخيماتٍ بدويةٍ وخمسة آلاف قريةٍ متناثرةٍ من عمال المناجم، وذلك ينافي ما جاء في الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس يؤكد لنا أن اليهود كانوا عبيدًا يقاسون الأمرّين في مصر، إلى أن أنقذهم موسى النبي ورحل بهم إلى سيناء (بمصر)، ليمكثوا فيها أربعين عامًا قبل دخولهم لأرض كنعان سنة 1400 ق.م تحت قيادة يشوع.[2]

2- بداية اليهودية (القرن 5-6 ق.م)

بنيت مملكة شاؤول عام 1000 ق.م (سفر صموئيل الأول: الإصحاح 8 ، 9 ، 10)، ثم مملكة داود (صموئيل الثاني: 2) الذي خلفه ابنه سليمان (سفر ملوك الأول: 1)، وفي عهد الملك داود كانت مملكة إسرائيل متحدةً وكانت عاصمتها أورشليم. وشيّد

الملك سليمان المعبد الأول المعروف بهيكل سليمان على جبل موريا (جبل الهيكل) بمدينة أورشليم. ثم انقسمت مملكة إسرائيل المتحدة إلى مملكتين الأولى شماليةٌ هي إسرائيل، نسبةً إلى يعقوب الذي دعاه الله إسرائيل، والثانية جنوبيةٌ هي مملكة يهوذا، وأهلها من نسل يهوذا (أحد أبناء يعقوب). ويقول الكتاب المقدس أنّ الأشوريين قد احتلوا مملكة إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد.

ولكن من المثير أننا لا نملك أي دليلٍ تاريخيٍّ يدلنا على مصير العشر قبائل الأخرى من أبناء يعقوب وعائلاتهم، ولا نملك دليلًا غير ما ورد في الكتاب المقدس على وجود هذه الممالك، ويستبعد باحثو الآثار اعتمادًا على استكشافاتهم في أرض إسرائيل أن مملكتي داوود وسليمان كانتا بهذه القوة الموصوفة في التوراة، ففي أفضل الأحوال ربما كانتا مجرد قبيلتين صغيرتين، فالألف سنة الأولى التي قدمها لنا الكتاب المقدس من تاريخ اليهود هي غالبًا من خيال المؤلف.

2- يشوع יְהוֹשֻׁעַ: هو خليفة موسى النبي، وهو من أحفاد إفرايم. عبر يشوع ابن نون نهر الأردن ودخل بشعب الله المختار إلى أرض كنعان (أرض الموعد) واحتلها.

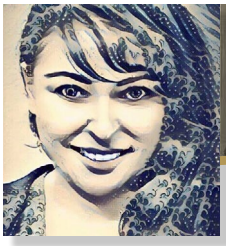

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

3- نشوء الكهنوت اليهودي

حمل العام 587 ق.م كارثةً ليهود مملكة يهوذا، إذ اجتاحها البابليون، وهدموا هيكل سليمان، كما سَبَوْا بعض الصفوة من المملكة إلى بابل وفرّ البعض الآخر إلى مصر. وفي عام 597 ق.م، زرع أحفاد يهوذا أول بذرةٍ للمجتمعات اليهودية في بابل، حيث تطورت عقيدتهم وكتبوا التلمود[3] البابلي. كما أسس اليهود الأكاديميات لتلقين الطلاب تعاليم التلمود، التي أصبحت فيما بعد مركزًا للطلاب من إسرائيل، في الحقبة ما بين عامي 500 و 1038 م. وبعد عودة بعض اليهود من السبي البابلي، بدأوا بتشييد المعبد الثاني عام 516 ق.م تحت زعامة ثلاثة أنبياءٍ هم حَجَيْ وزكريا وملاخي، و بعد وفاة النبي ملاخي (آخر أنبياء اليهود)، انتقلت الزعامة في الشعب اليهودي بين خمسة أجيال، والتي ظهر من بينها الفريسيون والصدوقيون تحت حُكم الفرس ثم حُكم الروم.

كان الفريسيون[4] جماعةً يهوديةً دينيةً، ظهرت في عام 516 ق.م في أورشليم. وبعد احتلال الرومان لإسرائيل عام 63 ق.م صاروا تارةً يمثلون حزبًا سياسيًا معارضًا، وتارةً أخرى يمثلون حراكًا اجتماعيًا، لكنهم في الأساس يُعتبرون من أهم مؤسسي المدرسة الفكرية في الأرض المقدسة. وقد أصبحت الطقوس والشعائر الفريسية أساسيةً في الكهنوت اليهودي.

أما الصدوقيون צְדוּקִים ، فقد كانوا قطاعًا نشطًا من الشعب اليهودي في مملكة يهوذا في أورشليم، في الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى عام 70 م. وكان هذا القطاع، كما وصفه المؤرخ فلافيوس يوسيفوس، مُؤَلَفًا من علية القوم، وكان أعضاؤه

يقومون بأدوارٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ ودينيةٍ مختلفة، ومن أهمها الحفاظ على أمان وسلامة المعبد. وفي عهد الإمبراطورية السلوقية، عُيّن كهنةٌ من طائفة الصدوقيين في مناصب إدارية، فأُعطوا سلطاتٍ مركزيةً سياسيةً وتنفيذيةً عليا، إذ كان رئيس الكهنة وقتها أداةً سياسيةً في أيدي الحكام السلوقيين، مما أثار حفيظة الفريسيين، فاشتركوا مع الثوار في الثورة ضد الاحتلال السلوقي منذ عام 160 ق.م، وكان من أهم مطالبهم: إلغاء السلطة الدينية، وفصل الدين عن الدولة، وإقامة دولةٍ علمانيةٍ، وتحديد

3- التلمود תלמוד: كلمةٌ عبرية تعني الدراسة، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية، هو تدوينٌ لنقاشات حخامات اليهود حول الشريعة اليهودية والأخلاق والأعراف وقصصٌ موثقةٌ من التراث اليهودي. يتكون التلمود من عنصرين: المِشْناه משנה وهي النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي كانت تتناقل شفويًا، والغماراه גמרא وهو القسم من التلمود الذي يتناول المشناه بالبحث والدراسة.

4- يرجع اسم الفريسيون פְּרוּשִׁים إلى أصلٍ يوناني وآرامي للكلمة يتعلق بالاعتزال والانفصال، ومصدر الكلمة مستعملٌ في العبرية بمعنى الانعزال.

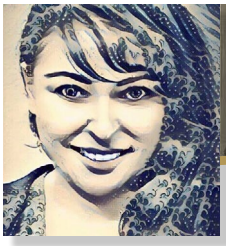

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

دور الكهنة في إقامة الشعائر الدينية داخل المعابد. وكانت هذه الثورة السبب وراء قتل الكثير من قيادات الفريسيين. وفي فترة الاحتلال الروماني، وفي العام 66 م، حاصرت جيوش الرومان اليهود في أورشليم لأربع سنين، حتى تمكن القائد تيتوس Titus من اقتحام المدينة سنة 70 م، فدمر معظمها، وسفك دماء أهلها، ونهب جنوده محتويات المعبد الثاني، ومن بينها الشمعدان الذهبي (المنوراه מְנוֹרָה)، ونرى اليوم نقش المنوراه على قوس النصر في روما محمولةً على أكتاف جنود الرومان، كما سبى تيتوس اليهود عبيدًا يُباعون في أسواق روما، ومن هنا بدأ تواجد اليهود في أوروبا.

4- ظهور المسيحية وتطورها، حتى وصلت للطبقة الحاكمة زمن حكم الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع، حتى الثورة الفرنسية قبيل بداية القرن الثامن عشر.

5- تعدد الطوائف اليهودية، منذ قيام الثورة الفرنسية ، ثم احتضان الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل إلى اليوم.

ظهور الفريسيين

يقول المؤرخ فلافيوس يوسيفوس أن عدد الفريسيين وصل إلى ستة آلافٍ قبل سقوط المعبد الثاني عام 70 م. ويعني لفظ فريسي: من كرّس نفسه لله. وظهر حزب الفريسيين الديني اليهودي، الذي يتكون من مجموعةٍ من علماء الدين وكهنة المعبد، في أورشليم، خلال الفترة 515 ق.م – 70 م.

اشتهر الفريسيون (أو بيروشيم بالعبرية) بعد فترةٍ وجيزةٍ من ثورة المكابيين[5] على المملكة السلوقية[6]، تحت حكم الملك أنتيوخوس إبيفانس 160-165 ق.م. كان الفريسيون مؤمنين أنهم الأحفاد الروحيين للحاسيديم، وهي طائفةٌ يهودية ذات طابعٍ روحانيٍّ ظهرت قبيل القرن الثاني قبل الميلاد. وكان الطابع المميز للفريسيين هو النضال من أجل حرية العقيدة ومواجهة الاحتلال والتيار الوثني.

5- المكابيين מכבים: جماعةٌ من اليهود الثوريين، تولوا الحكم في مملكة يهوذا التي كانت جزءًا من الإمبراطورية السلوقية، وقد أسسوا الأسرة الحشمونية التي حكمت من عام 165 ق.م إلى عام 37 ق.م.

6- نسبةً إلى سلوقس الأول نيكاتور Σέλευκος Νικάτωρ أحد قادة جيش الإسكندر الأكبر. حكمت هذه المملكة منطقة غرب آسيا. وامتدت من سوريا والبلقان وشمال اليونان وبلغاريا وتركيا إلى الهند شرقًا. من أشهر قادتهم الحاكم أنتيوخوس الثالث الكبير.

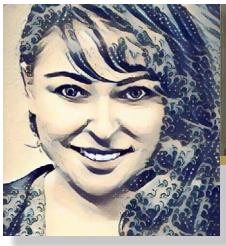

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

الخلاف بين الفريسيين والصدوقيين

كان الخلاف بين الفريسيين والصدوقيين خلافًا عقائديًا حول التلمود، وهو الجزء الشفهي للفكر اللاهوتي والعقيدة اليهودية، وحول التوراة (أسفار موسى الخمسة)، لأنهم أرادوا تطوير العقيدة لتواكب العصر الذي كانوا يعيشونه. فالصدوقيون يريدون تطبيق التوراة بحذافيرها، ويرفضون التلمود تمامًا، بدون النظر لظروف الحياة المعاصرة أو المراعاة لأي تطوّرٍ فيها، بينما أراد الفريسيون إعمال العقل والمنطق في كل مناحي الحياة بما فيها تفسير التوراة وتطبيق شريعة موسى، لذلك ازدادت شعبيتهم وزاد عدد متبعي منهجهم، وأصبحت لهم مكانةٌ محببةٌ لدى المواطنين، فكان تأثيرهم قويًا على الرأي العام، إلى الحد الذي جعل مدرسة الفريسيين هي الصرح الوحيد الذي استمر في تعليم الشريعة اليهودية بعد سقوط المعبد الثاني وتشتت اليهود في جميع أنحاء العالم.

ولذلك كتب عنهم المؤرخ اليهودي الروماني فلافيوس يوسيفوس: «كانوا ديمقراطيين، يحسمون أي جدالٍ يخص قوانين الشريعة بالتصويت، فقد كان لهم نظامٌ يشبه النظام البرلماني الديمقراطي».

عقيدة الفريسيين والكتاب المقدس

تكشف لنا الوثائق التاريخية أن الفريسيين كانوا يؤمنون بالأنبياء وبقيامة الأموات وتناسخ الأرواح، فأرواح الأبرار من المؤمنين سوف تعود يوم القيامة ولكن في أجسادٍ جديدة، وسوف تقاسي أرواح الأشرار عذابًا أبديًا. وقد ظهر بينهم أنبياءٌ ومُسحاء كثيرون، وهؤلاء كانت مهمتهم الوحيدة هي التعليم والإرشاد الديني وقيادة الشعب في ثوراتٍ ضد حكم الرومان، وليس اللاهوت أو حتى الدعوة إلى دينٍ جديد. أيضًا كان جل اهتمامهم منصبًّا على سن القوانين وتفعيلها بما لا يخالف الشريعة اليهودية في حياتهم اليومية. ولم يؤمن الفريسيون بسلطة الكاهن الدينية، ولم يقدسوا الكهنة ولم يقبّلوا أيديهم، فمهمة الكاهن لديهم كانت تقتصر على إقامة الشعائر والمراسم الدينية وحماية المعابد فقط.

بينما تأسست الأناجيل الأربعة المسيحية على تقديس شخص المسيح، وأنه ليس مجرد نبيٍّ عادي، فهو الله الظاهر في الجسد، وهو أيضًا رئيس الكهنة الذي عيّن اثنا عشر كاهنًا أو رسولًا. بالغت الأناجيل في تقديسهم، لدرجة أن يسوع أعطاهم الحق في غفران الخطايا: «مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» يوحنا (20: 23). وذكر

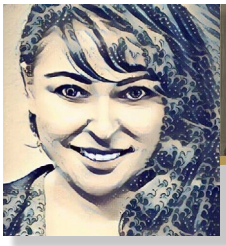

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

سفر أعمال الرسل معجزاتٍ عظيمةً قام بها الرسل الاثنا عشر: «وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ» أعمال الرسل (2: 43). كقصة الأعرج الذي انتظر الرسولين بطرس ويوحنا على باب الهيكل ليطلب صدقة، ولكن بطرس لم يعطه مالًا بل شفاه بمعجزةٍ وجعله يمشي من جديد: « فَقَالَ بُطْرُسُ: لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ، وَلكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ: بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!» أعمال الرسل (3: 6).

خلاف يسوع مع الفريسيين بين الكتاب المقدّس والمصادر التاريخية

لم يحدث ذلك الخلاف في الواقع، لأن يسوع شخصيًا كان فريسيًا كما ورد في كتب التاريخ. ولذلك يجوز القول بأن كتبة الأناجيل الأربعة قاموا بالتلاعب بالنصوص، بهدف اختلاق الخلاف بين يسوع والفريسيين، خصوصًا في ظل الخلافات التي كانت محتدمةً في زمن كتبة الاناجيل بين الكنيسة المسيحية والفريسيين آنذاك. ولكن الكتاب المقدس يقع في تناقضاتٍ مع نفسه بسبب التلاعب هذا. فمثلًا، يبرر الكتاب المقدس نقمة الفريسيين على يسوع بأن الأخير كان قد أغضب الفريسيين، عندما كان يشفي المرضى يوم السبت: «فَإِنْ كَانَ الإِنْسَانُ يَقْبَلُ الْخِتَانَ فِي السَّبْتِ، لِئَلاَّ يُنْقَضَ نَامُوسُ مُوسَى، أَفَتَسْخَطُونَ عَلَيَّ لأَنِّي شَفَيْتُ إِنْسَانًا كُلَّهُ فِي السَّبْتِ؟» يوحنا (7 – 23). ولكنها في الواقع حجةٌ ضعيفة، فالمصادر الفريسية تذكر نفس معنى ما ورد في إنجيل مرقس: «السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ» مرقس (2 – 27)، فمن الواضح أن يسوع لم يخرق عقيدتهم بقيامه بمعجزات شفاء المرضى يوم السبت، ولم يخالف حرفًا واحدًا من نصوصهم بهذا، فلا مبرر لأن يفكر الفريسيون في قتله لهذا السبب، وهو الذي كان ينشر تعاليمهم وأفكارهم.

ولم يكن خلاف الفريسيين مع الصدوقيين، على الإيمان بقيامة الأموات، سببًا كافيًا لتقديم يسوع للمحاكمة أمام قيصر وصلبه، فحتى إذا افترضنا أن يسوع كان يدعو الشعب للتوبة من أجل نيل الحياة الأبدية مع الله في ملكوت السموات، فليست هذه تهمةً في شريعة موسى يعاقب عليها بالصلب، فيسوع لم يكن مرتدًا عن دينهم بحسب تعبيره: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ» متى (5 – 17). كما يرد إثباتًا آخرًا على أن يسوع كان فريسيًا في إنجيل لوقا: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ ههُنَا، لأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ» لوقا (13 – 31). فإذا كانوا ينوون قتله فعلًا، لتركوه بين يدي هيرودس[7] ليصلبه ولما حذروه.

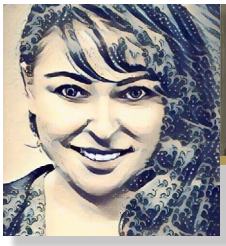

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

قد يتساءل البعض عن سبب امتناع الفريسيين عن حماية يسوع وقت محاكمته أمام بيلاطس البنطي[8]، وتركه للموت على خشبة الصليب، مثلما دافع غملائيل[9] عن بطرس الرسول في محاكمته أمام المحكمة العليا للأمة اليهودية (السنهدرين סנהדרין) وتبرئته له ولباقي الرسل، والسبب أن محاكمة يسوع كانت عن تهمةٍ سياسيةٍ وليست دينية، بمعنى أنها ليست من اختصاص الفريسيين، فالسلطات السياسية كانت موكلةً من الرومان إلى أيدي الصدوقيين، أما تهمة الرسل فكانت تبشيريةً دينيةً بعيدةً تمامًا عن السياسة.

وفكرة أن يسوع قد جاء من نسل داوود، وإعلان أنه ملك اليهود المُرتَقَب، تُعتَبَر شيئًا محببًا ولطالما انتظره الفريسيون ليخلصهم من حكم الرومان (كما ذكر المؤرخ فلافيوس يوسيفوس) ، وهذا دليلٌ تاريخيٌ يثبت انتماء يسوع لجماعة الفريسيين.

يقول يوسيفوس أن العديد من الأنبياء أو مُسحاءَ آخرين قد ظهروا مثل المسيح، مثال شمعون بار كوخبا، الذي قاد ثورةً ضد حكم الرومان وتبعه الكثير من اليهود، ومثال يهوذا الجليلي الذي أسس حزبًا سمّاه الغيورين، للتخلص من الرومان وغيرهم الكثيرين من الذين لم يحاول الفريسيون التخلص منهم أو تقديمهم للمحاكمة، بل أيدوهم بقوة وتبعوهم.

وكان يسوع فريسيًا من طائفة الحاسيديم، وهي طائفةٌ يهودية أرثوذكسية أصولية، كان يدّعي أهلها أنهم يصنعون المعجزات. فإذا كان اليهود يلقبون يسوع بالمعلم، وأنه كان ذا شخصيةٍ كاريزماتية وشعبيةٍ قوية، فمن المستبعد أن يغضب منه الفريسيون إذا علّم الشعب خارج المعبد اليهودي (الكنيس)، فقد كان الفريسيون يؤمنون بوجود الله في كل مكان بالعالم، وأنه يجب أن يُمَجّد داخل وخارج المعبد بل وداخل وخارج إسرائيل كلها أيضًا.

7- هيرودس: تولى المُلك على مملكة اليهودية عام 72 ق.م. ذكره متى في إنجيله (الإصحاح الثاني) على أنه الطاغية الذي أمر بقتل الأطفال حين علم بنبوءة ميلاد الطفل يسوع، ولكن اختلف المؤرخون مع ما ذكر في الإنجيل، وأكدوا أن تاريخ وفاته كان بين السنة الرابعة والأولى قبل ميلاد يسوع.

8- بيلاطس البنطي Pontius Pilate: حكم اليهودية بين عامي 26 و36 م. تقول نصوص الإنجيل هو الحاكم الذي كان من المفترض أن يحاكم يسوع ويحكم عليه بالصلب، ولكنه لم يجد فيه علةً، فغسل يديه من الأمر كله وتركه للشعب ليحكم عليه.

9- غملائيل גמליאל: حاخام يهودي فريسي عضو في مجلس قضاة السنهدرين، كان يرى عمل رسل يسوع أنه مقبولًا إنسانيًا ولا يستوجب الصلب، ولم يرد تكرار خطأ قتل ثاؤوداس مع مئاتٍ من تابعيه، وهو الذي كان يعتبره الفريسيون نبيًا لليهود.

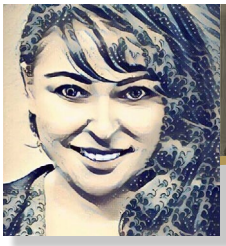

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

سبب صلب يسوع

يوضح لنا الإنجيل أن تهمة يسوع دينية، وهي مخالفة الناموس وشريعة موسى (إنجيل مرقس إصحاح 1 آيات 28-21: معجزة شفاء وإخراج الشياطين، إنجيل يوحنا إصحاح 5 آيات 18-1: شفاء المُقْعَد)، في حين أنه كان يقدس الناموس، ويطلب من الجميع من خلال تعاليمه أن يقدسوه، وكان يتبع الشريعة ويحترمها. وبناءً على ذلك، فإن الاحتمال الآخر هو أن تكون تهمته سياسيةً، لأنه كان من الثوار، وكان مناهضًا لحكم الرومان، وطبقًا للقوانين الرومانية آنذاك كان لابد أن يُقدَم يسوع للمحاكمة ويصلب.

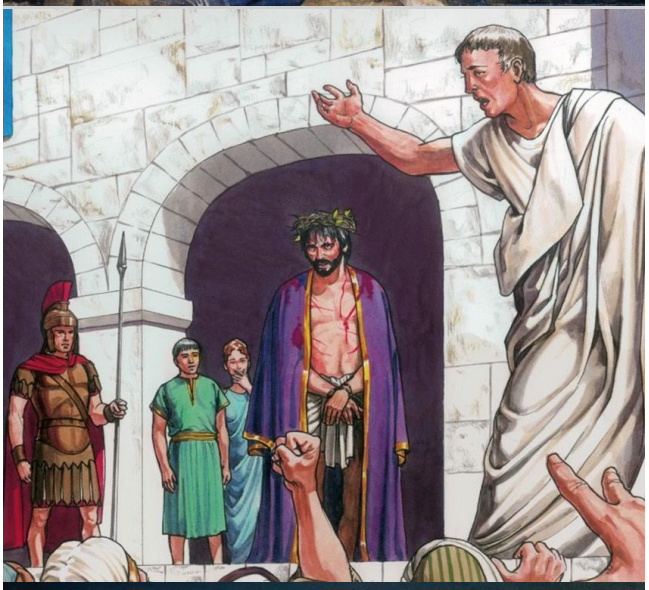

ولما كانت الصورة التي أراد كتّاب الإنجيل نقلها إلينا تحكي لنا عكس ما ورد في كتب التاريخ، فكان سيناريو الإنجيل كالتالي:

- يُتّهَم يسوع بتهمةٍ دينيةٍ باطلة، وهي مخالفة الناموس وشريعة موسى (إنجيل مرقس إصحاح 1 آيات 28-21: معجزة شفاء وإخراج الشياطين، إنجيل يوحنا إصحاح 5 آيات 18-1: شفاء المُقْعَد)، وتهمة التجديف أي أنه يستطيع أن يَنقُض هيكل الله ويبنيه في ثلاثة أيام (إنجيل متى إصحاح 26 الآيات 59 إلى 68)، فيؤدي ذلك إلى خلافٍ عقائديٍ وجذريٍ بينه وبين الفريسيين، فيقدمونه للمحاكمة مدّعين أنه يريد قلب نظام الحكم، فلا يستطيع بيلاطس البنطي أن يجد على ادعائهم أي إثبات، ويغسل يده من دم يسوع، فيُصر اليهود على صلبه، وبهذه الطريقة يظهر الرومان أمام الجميع بثوب البراءة، ليكون ذنبه في رقاب اليهود وأبنائهم من بعدهم للأبد (دمه علينا وعلى أولادنا: متى 27:24). فيُعلّق الرومان يسوع على خشبة الصليب بناءً على طلب اليهود، وتُكتَب على خشبة الصليب تهمته (ملك اليهود) فيموت يسوع بتهمةٍ ملفقة، ثم يقوم في اليوم الثالث، وهكذا يتم الفداء المزعوم بحسب الإيمان المسيحي من خطيئة آدم الأولى.

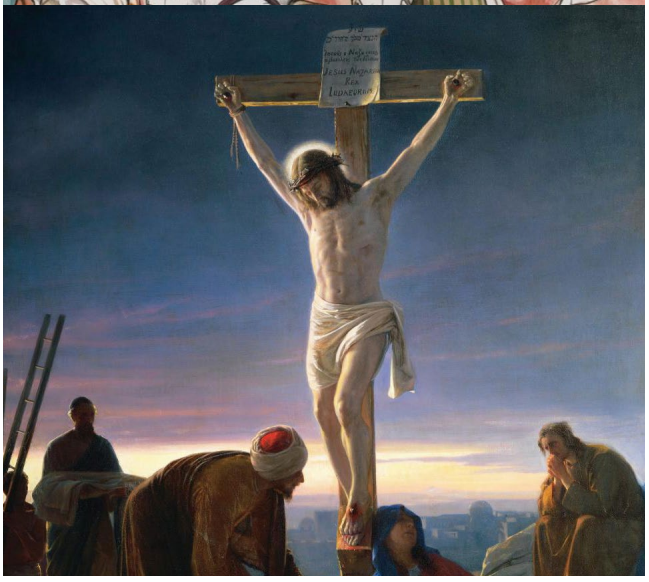

ويؤكد لنا المؤرخون، أن العديد من أبناء الجليل تم صلبهم بتهمة

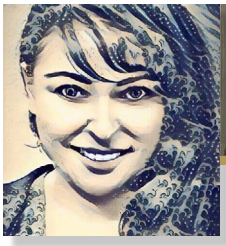

المسيحيَّة.. خيانةُ ثورة!

Norma Bassily

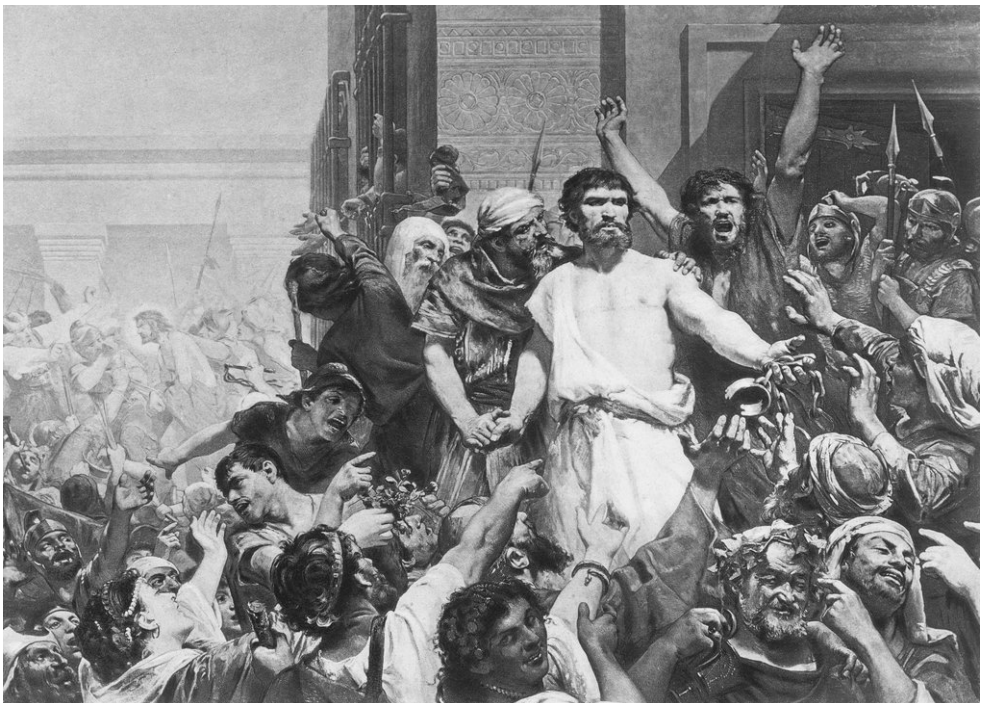

تهديد أمن الإمبراطورية الرومانية، وقلب نظام الحكم، مثال يهوذا الجليلي والمئات من مؤيديه، الذين قد صَلَبَ الرومان من قَبلهم أربعة آلاف يهودي بتهمة التمرد وعدم دفع الضرائب كاملةً، فقد كانت الجليل قبلة المتمردين، لأنها لم تكن تحت حكمٍ مباشرٍ من الرومان، بل عيّن الرومان أحد الصدوقيين كوالٍ عليها لإدارة شؤونها.

استطاع بولس الرسول أن يحول دور يسوع من مناضلٍ ثوريٍ كل هدفه تحرير شعبه من بطش الرومان وظلمهم، من معلم أجيالٍ وأحد أحبار اليهود المؤثرين في ذلك العصر، إلى شخصيةٍ ضعيفةٍ ليس لها أي تأثيرٍ سياسي، أو حتى لها أي علاقة بمعاناة الشعب اليهودي تحت احتلال الإمبراطورية الرومانية.

فبولس كرَجلٍ روماني الجنسية، كما ذكر الإنجيل (أعمال الرسل إصحاح 16 آيات 39-37، وإصحاح 22 آيات 28-25)، لا يعلم الكثير عن معاناة اليهود آنذاك. وباعتباره ليس فريسيًا، فنضال يسوع لنشر التوراة وشريعة موسى لم يكن مهمًا بالنسبة له، ففي قصة بولس الرسول نجد أن دور اليهود يظهر وكأنهم الطرف الشرير الذي صلب المسيح في الرواية، بدلًا من وصفهم بالوطنيين، وأنهم من خرج من بينهم بطلٌ اسمه يسوع بن يوسف النجار الذي قاد شعبًا مضطهدًا في ثورةٍ نحو الحرية. فنجد بولس يدعو يسوع مسيحًا وإلهًا ومخلصًا للشعب الذي رفضه، برغم من تأكيد المؤرخين على أن يسوع لم يَدّعِ أبدًا الألوهية، أو أنه كان ابنًا لله، فهذه الفكرة مرفوضةً تمامًا من حبرٍ يهودي متدينٍ مثله. وكفريسي ملتزمٍ لم يكن يسوع ليقبل فكرة استبدال الكفارة (ذبح حيوانٍ) بالأضحية البشرية، ولا أن يقبل الفكر الوثني الذي أراد بولس نشره، معتبراً يسوع ابن الإله والإله في ذات الوقت، فكل هذه الأفكار دخيلةٌ على الشعب اليهودي الذي كان مؤمنًا بإله العهد القديم يهوه.

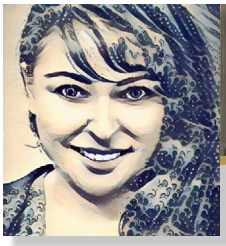

المسيحيَّة.. خيانُة ثورة!

Norma Bassily

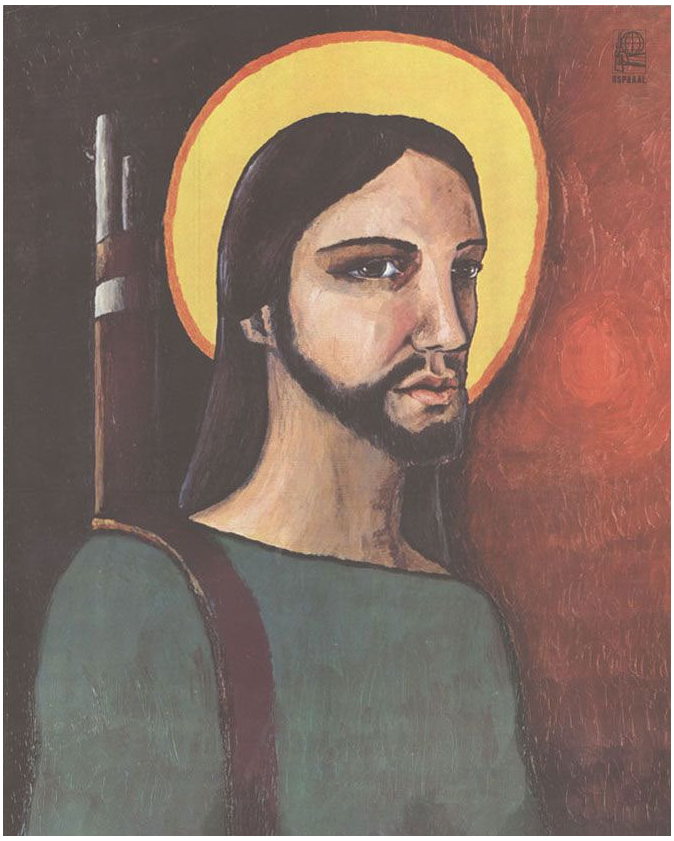

من يقرأ أعمال المؤرخين ويقارنها بما جاء في الأناجيل الأربعة، سيكتشف أن رواية الإنجيل غير واقعيةٍ ولا ممكنة. صحيحٌ أن المسيح لم يكن غيفارا عصره، ولكنه كان معلمًا وحبرًا فريسيًا وثائرًا يُحب بلاده ويُريد لها الحرية، ولم يكن ليخالف الناموس أو يلغي منه حرفًا واحدًا كما يَدعي المسيحيون. وقد كان ممكنًا لسيرة يسوع أن تصبح قصةً ملهمةً لبطلٍ عظيم، ولكن أصابع المسيحيين الأوائل غيّرتها تمامًا خلال الفترة بين القرن الثاني والقرن الرابع، إرضاءً للإمبراطورية الرومانية التي لم تغب عن ذاكرتها ثورات يهود أورشليم، فأرادت المسيحيين شعبًا وديعًا مسالمًا يحوّل خده الآخر لمن لطمه، ويعطي ما لقيصر لقيصر. وكأنها مؤامرةٌ على الحبر اليهودي الثائر يسوع، حاكها الإنجيل بمهارةٍ ليمحو كل إنجازاته ويخلق شخصيةً جديدةً تهدّئ المعارضين والثوّار أمثاله. هكذا خان المسيحيون ثورة يسوع، فضيّعوا تضحيته ومحوا تاريخه الحقيقي.

مراجع للاستزادة

1- Whiston William (Translator), *The Complete Works of Flavius Josephus - Legendary Jewish Historian and His Chronicle of Ancient History*, Master Books, 2008.

2- Cantor Norman F., *The Sacred Chain: History of the Jews*, Harper Perennial,1995.

3- Herzog Ze'ev, "*The Bible: No evidence on the ground.*", Haaretz, October 29, 1999.

4- Maccoby Hyam, *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Barnes & Noble 1998.

5- Tabor James D., *Paul and Jesus: How the Apostle Transformed Christianity*, Simon & Schuster, 2013.

6- Maeir A. M. Israel and Judah, *The Encyclopedia of Ancient History*. New York: Blackwell, 2013.

7- Romer John, *Testament: The Bible and History*, Konecky & Koneck, 2004.

سيرة محمد بن آمنة

الحلقة السادسة عشرة: الهجرة الأولى إلى الحبشة والآيات الشيطانية

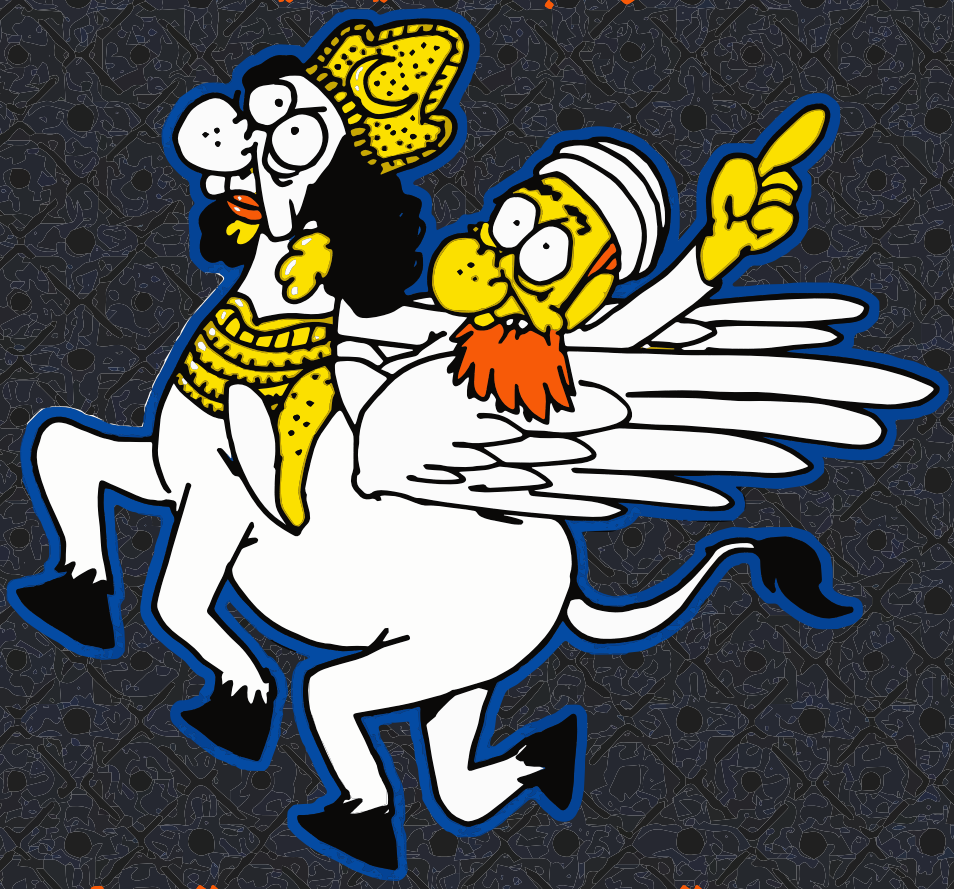

ترجمة عن الفرنسية لكتاب

LA VIE DE MAHOMET

ترجمة: سارة سركسيان

إخراج: أسرة تحرير مجلة الملحدين العرب

الهجرة الأولى إلى الحبشة

كانت متزوجةً قبله من عتبة بن أبي لهب، الذي طلّقها بعد نزول سورة المسد في والده.

عند وصولها، تجمّع أهل الحبشة ينظرون إلى بنت الرسول منبهرين بجمالها.

شعرت رقيّة بالحرج، فدعت الله أن يعاقب الأحباش على فعلتهم هذه.

فهلكوا جميعًا دون استثناء. (1)

بقيت بنت محمد الأخرى في مكّة، وتدعى أم كلثوم. وكانت متزوجة من عتيبة وهو أيضًا أحد أبناء أبي لهب والشقيق الأصغر لعتبة.

عندما أعادها عتيبة إلى أبيها، لعنه محمّد بصوتٍ عالٍ.

اللهم أرسل له كلبًا من كلابك!

بعد أيام، غادر عتيبة مكّة مع قافلة تجارية إلى الشام.
توقفت القافلة في الطريق لقضاء الليلة في أحد الأديرة.
انتبهوا جيدًا، هناك أسودٌ تجول في الجوار!
فتذكر وقتها لعنة محمد.
جلس عتيبة في وسط باقي رجال القبيلة الذين بدورهم كانوا محاطين بجمالهم.
ظهر في الليل أسد، وبدأ يحوم حولهم وراح يشمّهم واحدًا تلو الآخر.
توقف عند ابن أبي لهب وشقّ رأسه بضربةٍ من يده.
صرخ المسكين في آخر لحظاته قبل الموت:
ألم أقل لكم أن محمدًا أصدق الناس؟ (2)

في مجلس ملك الحبشة، قرأ أحد صحابة محمد رسالة الصادق الأمين بصوتٍ عال.
بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة ...
أسلم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء الشريفة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعه وتتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي
والسلام على من اتبع الهدى.
كان النجاشي ملكًا مسيحيًا مؤمنًا، تأثر كثيرًا بكلام محمد، ومنح الحماية لأصحابه. (3)

الآيات الشيطانية
استمر الرسول بدعوة الكفّار إلى الإيمان.
لكن أصحابه المقربين كانوا قد رحلوا، فأحس بالوحدة والإهمال.
في يوم من الأيام، كان يجلس قرب الكعبة، يتلو للحاضرين سورة النجم.
فدخلت في السورة آياتٌ تشرك بالله.
أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهن لترتجى.
أصيب الحاضرون بالدهشة ولم يصدّقوا أن محمدًا يمدح الأصنام التي يكرهها كثيرًا.
تساءل البعض إن كانت إخفاقاته الأخيرة قد دفعته للتملق لأصنام قريش.
في نفس المساء جاء جبريل لرؤيته، وبينما كان النبي يراجع معه سورة النجم، صرخ جبريل:
لكني لم أقل هذا الكلام أبدًا!
لاحقًا، كشف الله لنبيّه الأمين، أن ما حدث كان من عمل الشيطان الرجيم الذي عصى أمره وتعهد بإضلال الإنسان. (4)

(1). الهجرة إلى الحبشة:

● لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي الأذى عليهم من كفار قريش... قال لهم: تفرقوا في الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: هاهنا وأشار بيده إلى جهة أرض الحبشة؛ قال: وفي رواية «قال لهم اخرجوا إلى جهة أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد... فهاجر إليها ناس ذو عدد مخافة الفتنة... ومنهم من هاجر بأهله. ومنهم من هاجر بنفسه؛ فممن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم...

● وكانت رقية رضي الله تعالى عنها ذات جمال بارع... ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون إليها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا...

● قال أبو لهب لابنه عتبة... رأسي من رأسك حرام إن لم تفارق ابنة محمد، يعني رقية رضي الله عنها فإنه كان تزوّجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع في كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتأمل.

● فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا إلى البحر، فلم يجدوا أحدا منهم...

■ السيرة الحلبية لعلي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - 1427هـ الجزء (1)، الصفحة (458-456 + 413).

(2). ذكر قصة عتيبة والسبع:

● قال أبو لهب لابنه عتبة... رأسي من رأسك حرام إن لم تفارق ابنة محمد، يعني رقية رضي الله عنها فإنه كان تزوّجها ولم يدخل بها ففارقها ووقع في كلام بعضهم طلقها لما أسلم فليتأمل.

● وكان أخوه عتيبة... متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم، ويدخل بها. فقال: أي وقد أراد الذهاب إلى الشام: لآتين محمدا فلأوذينه في ربه، فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم: أي وفي لفظ برب النَّجْمِ إذا هَوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وردّ عليه ابنته وطلقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم سلط» وفي رواية «اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك»...

فرجع عتيبة إلى أبيه أبي لهب فأخبره بذلك، ثم خرج هو وأبوه إلى الشام في جماعة، فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير. فقال لهم: إن هذه الأرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه إنكم قد عرفتم نسبي وحقي، فقالوا أجل يا أبا لهب. فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة، فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فأجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا حوله، ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة...

فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله. وفي رواية «فضخ رأسه» وفي رواية «ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه» وفي رواية «فضغمه ضغمة فكانت إياها» فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم إن محمدا أصدق الناس لهجة ومات، فقال أبوه: قد عرفت والله ما كان ليفلت من دعوة محمد...

■ السيرة الحلبية لعلي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - 1427هـ الجزء (1)، الصفحة (413).

(3). الالتقاء بالنجاشي وحمايته للمسلمين:

● وقد كان النجاشي دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله، فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر، وقال: جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله، فقال النجاشي: نعم يدخل بأمان الله وذمته، فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم، فقال له الملك: ما لك لا تسجد؟...

فقال النجاشي: ما منعكم أن لا تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي أحيى بها، فقال جعفر: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: ولم ذلك؟ قال: لأن الله تعالى أرسل فينا رسولا، وأمرنا أن لا نسجد إلا لله عز وجل، وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحيياك بالذي يحيي به بعضنا بعضا: أي وعرف النجاشي ذلك... وأمرنا بالصلاة أي غير الخمس...

قال عمرو بن العاص للنجاشي: فإنهم يخالفونك في ابن مريم، ولا يقولون إنه ابن الله عز وجل وعلا. قال: فما تقولون في ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل: روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء: أي البكر البتول: أي المنقطعة عن الأزواج، التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها أي يشقها. ويخرج منها ولد: أي غير عيسى صلى الله على وسلم...

فعند ذلك قال النجاشي: والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذي أحمل نعله وأوضئه: أي أغسل يديه، وقال للمسلمين: أنزلوا حيث شئتم سيوم بأرضي: أي آمنون بها، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق، وقال: من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني.

■ السيرة الحلبية لعلي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - 1427هـ الجزء (1)، الصفحة (478).

(4). الآيات الشيطانية:

● فلما كان شهر رمضان قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وَالنَّجْمِ إِذا هَوى [النّجم: الآية 1] أي وقد أنزلت عليه في ذلك الوقت... حتى إذا بلغ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى (20)... وسوس إليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما ظانا أنهما من جملة ما أوحي إليه، وهما: تلك الغرانيق العلى: أي الأصنام، وإن شفاعتهن لترتجى»... ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا: أي المسلمون والمشركون... قال بعضهم: ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان، وإنما سمع ذلك المشركون فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير إيمان...

وذكر الحافظ الدمياطي «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأى من قومه كفا عنه: أي تركا وعدم تعرض له، فجلس خاليا فتمنى، فقال: ليته لم ينزل عليّ شيء ينفرهم عني» وفي رواية: «تمنى أن ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على إسلامهم، وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه، فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة، فقرأ عليهم وَالنَّجْمِ إِذا هَوى (1)... إلى آخر ما تقدم...

ومن جملة من كان من المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا إلى جبهته فسجد عليه، لأنه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود... وقيل الذي فعل ذلك، سعيد بن العاص... وقيل الفاعل لذلك أمية بن خلف... وقيل عتبة بن ربيعة... وقيل أبو لهب... وقيل المطلب. وقد يقال: لا مانع أن يكونوا فعلوا ذلك جميعا، بعضهم فعل ذلك تكبرا، وبعضهم فعل ذلك عجزا...

فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم: قد عرفنا أن الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فأما إذا جعلت لنا نصيبا فنحن معك، فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت...

فلما أمسى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل: فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها، فقال له جبريل: ما جئتك بهاتين الكلمتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلت على الله ما لم يقل أي فكبر عليه ذلك- فأوحى الله تعالى إليه ما في سورة الإسراء وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ [الإسراء: الآية 73]... أي بموافقتك لهم على مدح آلهتهم بما لم نرسل به إليك وإذا لو فعلت أي دمت عليه لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا [الإسراء: الآية 73] إلى قوله ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً [الإسراء: الآية 75] أي مانعا يمنع العذاب عنك...

وقيل إن هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الأخرى، فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم، فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم كما في «شرح المواقف» ومن سمعه أنهما من قوله صلى الله عليه وسلم: أي حتى قال: قلت على الله ما لم يقل، وتباشر بذلك المشركون، وقالوا إن محمدا قد رجع إلى ديننا: أي دين قومه حتى ذكر أن آلهتنا لتشفع لنا، وعند ذلك أنزل الله تعالى قوله وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ [الحجّ: الآية 52] أي قراءته ما ليس من القرآن: أي مما يرضاه المرسل إليهم.

■ السيرة الحلبية لعلي الحلبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية - 1427هـ الجزء (1)، الصفحة (459+460+461).

كاريكاتور

Jamil M. Abdallah

نحن أذكى منك أيها الملحد فلو كان هناك بيتزا على المريخ سنفوز نحن الرهان والبيتزا الشهية وأنت ستأكل فلافل و تتحسر. أما لو لم يكن هناك بيتزا فكلانا سيأكل فلافل و لا أحد سيفوز

Amiee Salama

تعددت الحشوات والعجينه واحده

Raouf Khattab

لايوجد اى بيتزا ....كل كويس قبل ما تطلع المريخ.

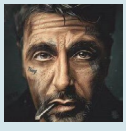

Akram Shady

البيتزا المطلوبة غير متاحة ربما تكون واهما!

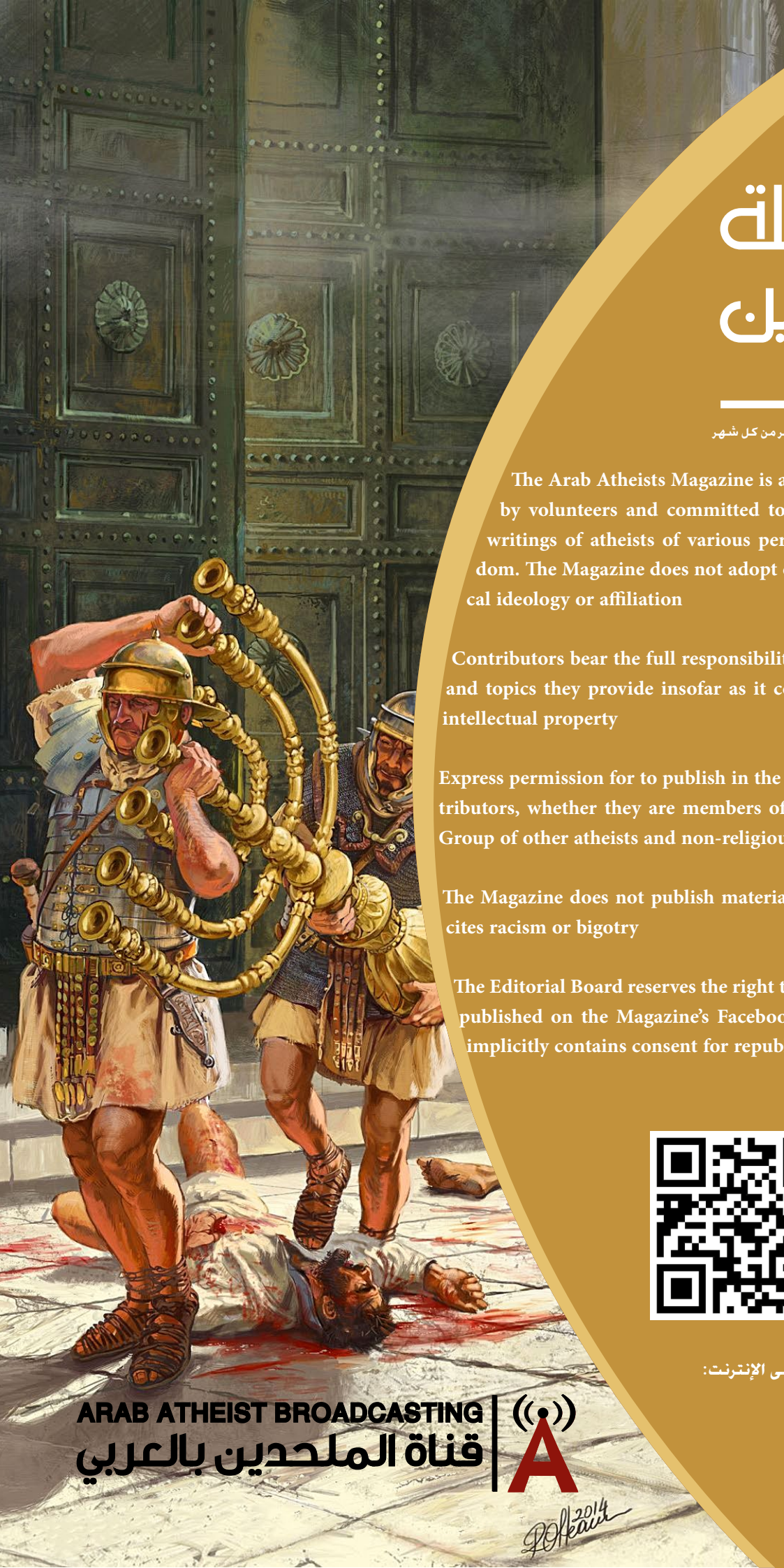

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

The Arab Atheists Magazine is a digital publication produced by volunteers and committed to promoting the thought and writings of atheists of various persuasions with complete freedom. The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation

Contributors bear the full responsibility of the content, illustrations and topics they provide insofar as it covers copyright and issues of intellectual property

Express permission for to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Group of other atheists and non-religious contributors

The Magazine does not publish material that is unethical or that incites racism or bigotry

The Editorial Board reserves the right to republish content originally published on the Magazine's Facebook group, as publishing there implicitly contains consent for republication in the Magazine

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي